

سلسلة

المغامرين الأذكياء

المهرّب المجهول

ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net

دار النفائس



المغامرون الأذكياء

المهرّبُ المجهُول

إعداد وتأليف
عبد الحميد الطرزي

تحرير واشراف
نعيم زرزور

دار النفائس

جميع الحقوق محفوظة لـ "دار النفائس"



دار النفائس
للطباعة والنشر والتوزيع
شارع فردان - بناية الصباح
وصفي الدين - ص.ب ١٤/٥١٥٢
برقياً: دانفايسكو - ت ٨١٠١٩٤
أو ٨٦١٣٦٧ بيروت - لبنان

الطبعة الأولى : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

الطبعة السادسة مصورة بالأوفست عن الطبعة السابقة : ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

سرقة صباحية . .

استيقظت ليلى باكراً ، وأسرعت نحو النافذة المطلة على البحر ، وما ان فتحتها حتى اندفع النسيم العليل يلفح وجهها ، وسرت قشعريرة ناعمة في جسدها . رفعت رأسها إلى السماء تستنشق بعمق هواء الصباح المنعش ، وفي محاولة لإيقاظ أفراد الفرقة ، صاحت :

- ما أجمل طبيعة مصيفنا ، وما أنعش هواء الصباح . . .

ولكن محاولتها هذه ذهبت أدراج الرياح ، لأن أحداً منهم لم يجبها ، إنهم ما زالوا يغطون في نوم عميق ، عدا الحارس الأمين «فينو» والقرد الذكي «سرور» اللذين شاركا ليلى لذة النهوض المبكر . . . وما هي إلّا دقائق حتى اندفع فصيح ليأخذ مكانه المعتاد على كتف ليلى ، واستغرق معها في تأمل زرقة السماء . . .

حاولت ليلى من جديد إيقاظ أفراد الفرقة ، ولكن لا جدوى ، فتمتمت وهي تهز رأسها :

- لا مفر من استعمال العنف مع هؤلاء الكسالى . . .

اندفعت إلى أقرب سرير ورفعت الغطاء عن عصام وألقت به بعيداً ، ثم كررت عملها مع وليد . . . وقبل أن تصل إلى خالد كان هذا الأخير يجلس على سريره مبتسماً وبادرها بالتحية الصباحية :

- صباح الخير يا ليلى . . ألا ترين أنك استيقظت باكراً . . . وعلى غير عادة ؟ وبحركة تمثيلية ، أشارت ليلى نحو البحر وقالت :

- وهل أتينا المصيف للنوم ؟ . . . ألم يتناهى إلى سمعك هدير الأمواج وتكسرها على الصخور ؟ يا لروعة البحر . . . إنني أحس بنسيمه يلفح وجهي ، وكأني بالأمواج تدعونا إلى التمتع باليقظة المبكرة معها ؟ . . .

وقبل أن تسترسل ليلى ، بأسلوب شاعري ، قاطعها عصام ساخراً :

- الله . . . الله .

تابعت ليلى ، دون أن تلتفت إليه :

- دع السخرية لسواك . . . هل يحق للكسول أن يسخر ؟؟ . .

ولم تنس أن تكمل حديثها السابق :

- ألم يكفكم النوم في المدينة ؟ . . . كأنكم لم تسمعوا قول «الخيام» :

« فما أطال النوم عمراً ولا

قصَّر في الأعمار طول السهر »

صفق عصام باعجاب وحماس ، وعاد إلى سخريته :

- الله . . . لم نكن نعلم أن بيننا شاعرة ، تتغزل بالبحر وبزرقة السماء ، وبالنسيم العليل . . . وتتأثر «بالخيام» . . . فلسفة ؟؟ . . .

وقذف بوسادته بعيداً معبراً عن غضبه ، وجلس وسط سريره ، وتابع قائلاً :

- ما دمت معجبة «بالخيام» إعملي وحدك بما يقول . . . ودعينا ننعم بغفوة الصباح . . .

كان صوت عصام أجشّاً هادراً ، فاستيقظ وليد على صخبه متأففاً وبدأت معه معركة الصباح ، إذ سرعان ما سحب وسادته وقذف بها عصاماً وهو يقول :

- لست أدري متى تتكلم كباقي البشر فلا تزعجنا بصوتك القبيح

المنكر . . . أريد أن أنام . . . أتفهمون ؟؟ . . .

راقت اللعبة لأفراد الفرقة ، فتبادلوا النظرات المتفاهمة ، وتحولوا بأنظارهم إلى عصام الذي كان ضحية هجمة واحدة ، إذ انهالت عليه الوسائد من كل جانب ، فندم أشد الندم على إبعاد وسادته عن متناول يده . . . وتألب جميع أفراد الفرقة عليه حتى «فصيح»، هذا الببغاء الثرثار كان ينتقل من مكان إلى آخر ، تارة يدغدغ باطن قدم عصام ، وطوراً يرسل صفيره الحاد بالقرب من أذنيه . . وفينو الوقور ، لم يبق بعيداً ، فقد لوح بذيله يمنة ويسرة ، وانتصبت أذناه ، فاقترب من عصام وأخذ يلعق وجهه . . . فما كان من هذا المسكين إلاّ أن هرب والتجأ إلى الحمام وأقفل الباب من الداخل ، وجلس على الأرض من شدة الإعياء . . . وتناهت إليه من الخارج أصوات ضحكاتهم المليئة بفرح الانتصار ، فلم يسعه ، والحالة هذه ، إلاّ الابتسام . . .

أما سرور ، فقد خرج من الغرفة قبل بدء المعركة لغاية في نفسه . . .

وتناهى صوت صخبهم إلى المفتش جميل وزوجته سعاد اللذين كانا يحتسيان قهوة الصباح في الشرفة المطلة على البحر . . . فنظر إلى «أم خالد» وقال بحنان الأب :

- يبدو أن السيرك يقدم عروضه باكراً . . .

وشاركته أم خالد حديثه وحبوره :

- لقد تعبوا طوال السنة ، وقطفوا ثمار تعبهم ، فقد نجحوا جميعاً وبتفوق ، فحق لهم الاستمتاع بإجازة طويلة هانئة .

شرب المفتش ما تبقى في فنجانه دفعة واحدة ، وغرق في لحظة تأمل قال بعدها :

- لو اقتصر الأمر على الصخب والعبث هنا ، فأنا سعيد بذلك ، وقد أشاركهم فرحهم ، أمّا لو تورطوا في أية مغامرة ، كما هي عادتهم ، فلن أغفر لهم أبداً . . . فأنا أريد الاستمتاع بإجازة هادئة هذا الصيف . . .

انتهت المعركة وراح كل واحد يقوم بواجباته الصباحية ، وخرجت ليلى إلى الشرفة ، حيث يجلس المفتش وزوجته ، وقبلتهما على التوالي وهي تلقي تحية الصباح . . . واسترعى أسماعهم همهمة مصدرها السطح ، عرفتها ليلى بسرعة ، إنها همهمة «سرور». رفعوا رؤوسهم ليروه مطلاً عليهم وقد اصطبغ وجهه بلون أصفر . . . فقالت ليلى بلهجة آمرة :

- سرور . . . ماذا تفعل . . . إنزل الى هنا فوراً ؟!!

ولكن «سرور»، على ما يبدو ، كان منهمكاً بأمر هام ، . . . فقد كانت ثمرة المانجا التي يلتهمها لذيذة وشهية ، إلى حد أنه لم يلتفت إلى أحد ، وتابع التهامها بسرعة . . . فلما رأت ليلى ما بيدي سرور قالت مستنكرة :

- سرور . . . ألا تخجل من نفسك ؟ . . .

هنا انتبه سرور ، فتوقف برهة عن متابعة الأكل ، مع حبه الشديد للمانجا ، ونظر إلى ليلى بدهشة . . وعاد من جديد يلتهم ما تبقى من الفاكهة بين يديه ، في حين استطردت ليلى قائلة :

- من أين أتيت بالمانجا ؟ . . .

ازدادات سرعة سرور في التهام الثمرة الشهية ، بعد أن أحسّ أن الهدف من كلامها وتهديدها هو حرمانه من فاكهته المفضلة . . .

وتساءلت أم خالد باستغراب :

- مانجا ؟ . . . ومن أين أتى بها ؟ . . .

ندت عن المفتش ابتسامة خفية ، في حين تابعت زوجته قائلة :

- ولكن من أين حصل عليها ؟ . . . هل اشتريت مانجا يا جميل ؟ . . .

ابتسم المفتش ، وقال :

- لا . . . ولكني أعلم من أين أتى بالمانجا . . . ، لا شك أنه قام بزيارة حديقة المنزل المجاور ، ففيها عدة أشجار مانجا مثقلة بثمارها اليانعة .

فقالت السيدة سعاد ، وهي تنظر إلى سرور :

- آه . . . فهمت . . . تعني أن سروراً قام بعملية سطو وسرق المانجا ؟؟ . .

انتهى سرور من التهام فريسته ، وألقى بالنواة من يده ، كأنه بذلك تخلص من جسم الضحية التي اتهم بجرم قتلها ، وقفز ليستقر بينهم . . . وآثار جريمته لا يزال يغطي وجهه حتى أذنيه ، فعصير المانجا قد صبغ أعضاء وجهه جميعاً . . . وكساها بلون ذهبي أصفر . . .

تأمله المفتش وقال باسماً :

- ما هذا يا سرور ؟ . . . هل كنت تأكل بأذنيك ؟ . . .

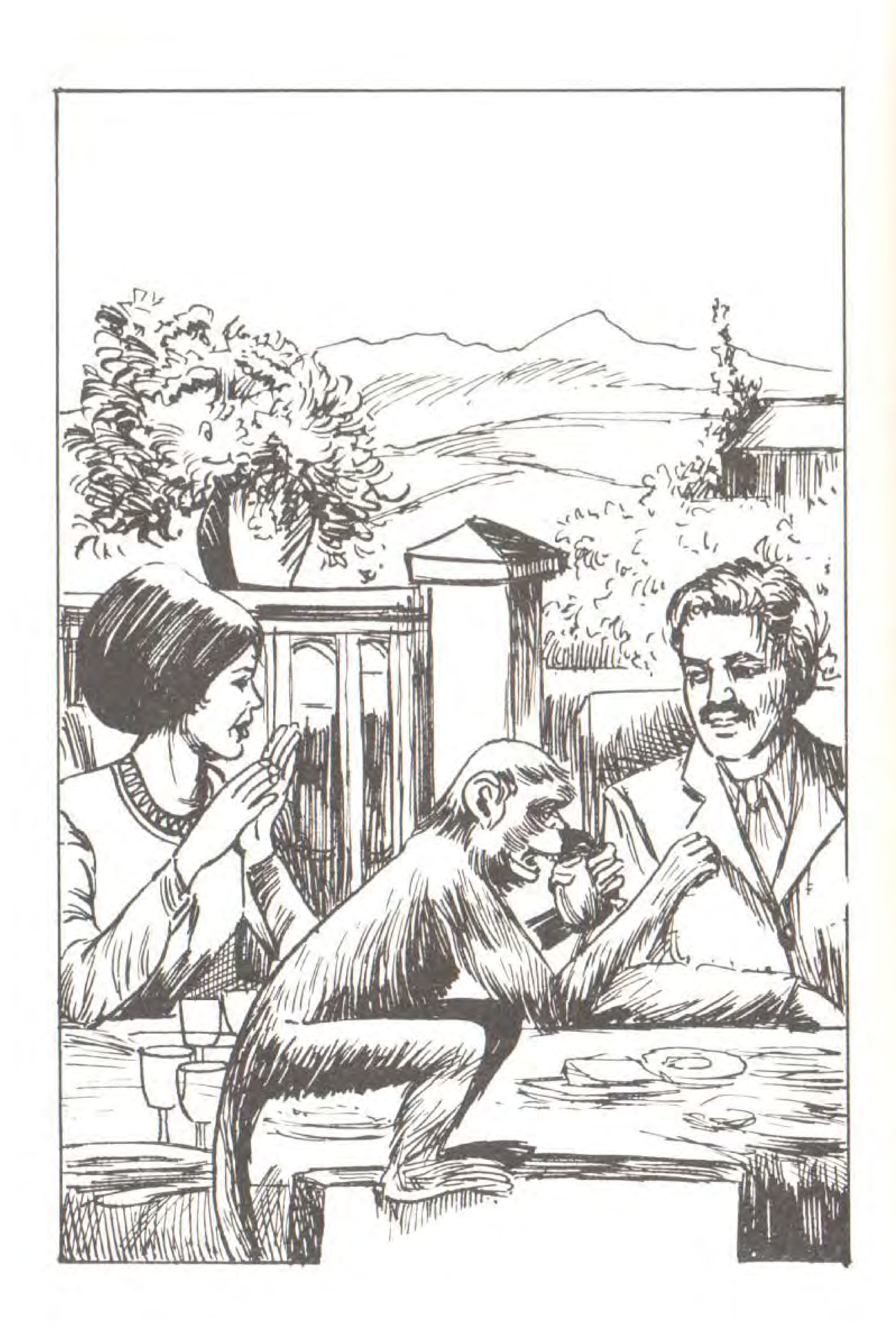
أمام هذا المنظر ، وسرور لا يزال يلعق بلسانه آثار المانجا العالقة على وجهه ، أخفت ليلى ابتسامتها وقالت ، متظاهرة بالغضب :

- اذهب واغتسل حالاً . . . وارجع لتنال عقابك الذي تستحق ، أنت لص تسرق ما ليس لك ، فيجب أن تعاقب على فعلتك .

وشاركتها السيدة سعاد بقولها :

- إنه يستحق أقسى عقاب . يجب أن نعيده إلى المدينة ليبقى هناك وحيداً طوال مدة الإجازة .

كان سرور يتراجع خطوة خطوة وهو يصغي لكلامهما ، ولسوء طالعه أن فصيحاً القابع على كتف ليلى ، سمع كل ما قيل ، وقبل أن يغيب سرور



داخل المنزل ، أخذ فصيح يهتف :

- سرور لص . . . سرور لص . . .

غضب سرور ، وكشّر عن أنيابه وهو يقفز يمنة ويسرة وتأهب للوثوب إلى فصيح ، وكانت فرصته في الانتقام ولكن ليلى حرمته من لذة اقتناصها فقد أنزلت فصيحاً وأجلسته في حجرها ، مما أسقط في يد سرور ، فتوقف عن محاولته . . .

ولم يكتف فصيح ، بل انتهز فرصة حمايته وعاد يصرخ :

- سرور لص . . . . سرور لص . . . مانجا . . . . مانجا . . .

اتسعت حدقتا سرور القابع بعيداً ، واحمرت عيناه من شدة الغضب وهو عاجز تماماً عن إسكات هذا الماكر الثرثار . . . وكأنه تذكر أوامر ليلى ، وأن عليه أن يغتسل ، فانسحب وغادر المكان لا يلوي على شيء .

ضحك المفتش جميل ، وأشار بيده إلى فصيح وهو يقول :

- الويل لطويل اللسان هذا ، لو أمسك به سرور . . .

أدرك فصيح الذكي ما يعنيه المفتش ، وحاول الاستفادة من مواقفه السابقة مع سرور ، وبدل أن يتوقف عن الثرثرة ، استمر في معزوفته قائلاً :

- فصيح بطل . . . فينو بطل . سرور لص . . . لص . . .

ضحكت أم خالد طويلاً من شدة ذكاء فصيح وقالت .

- يا له من شيطان ماكر . . . يريد أن يكسب فينو إلى جانبه ، . . . ولهذا يمدحه .

ولكن فصيحاً لم يتوقف عند هذا الحد ، بل استمر في كيل الشتائم لسرور ، وتوقف لحظة ظن الجميع أن المعزوفة انتهت ، ولكن فصيحاً كمن تذكر شيئاً ، أخذ يصيح ويتغنى :

- مانجا . . . سرور لص المانجا . . .

وبغياب سرور ، توقف هذا الفاصل المضحك الذي غاب عنه الرفاق : عصام ، وليد وخالد ، ولكن المفتش توقع أن تستمر هذه المعركة ردحاً من الزمن فقال :

- يجب أن نستعد لمعركة طاحنة قد تستمر اليوم بكامله . . .

ما ان انتهى الأب من كلامه حتى ظهر خالد عند الباب ، يمسك بيده سروراً الذي قلب نظراته الفاحصة بين الجميع كي يعلم إذا كانوا لا زالوا غاضبين عليه . . . وإن ظهرت عليه علامات الهدوء والمسكنة ، وتظاهر بالأدب الجم ولاذ بالصمت . . . أراد خالد أن يعلم بما جرى فقال :

- صباح الخير . . .

وقبل أن يتلقى الجواب على تحية الصباح أردف قائلاً :

- لماذا يشكو سرور ؟ . . . هل آذاه فصيح . . . طويل اللسان ؟؟

أجابته أمه :

- صحيح . . . فقد صدق قول المثل : «ضربني وبكى . . . سبقني واشتكى» . . . سل سروراً ماذا فعل حتى استحق هجوم فصيح عليه ؟ . . .

أدرك سرور بإحساسه الفطري أن أم خالد تريد أن تتكلم ، فأفلت من يد خالد وهرع إليها ، أمسك بيدها ثم انحنى وقبلها باحترام جم ، ونظرات تنم عن رجاء بالسكوت عن فعلته . . . فقالت معبرة عن موقفه :

- إنه يرشوني . . . فهو يسترضيني بقبلاته كي أسكت . . . لا بأس عليك هذه المرة . . . سأصفح عنك بشرط ولو كررت فعلتك وأخذت ما لغيرك . . . الويل لك . . .

انفرجت أسارير سرور ، وفرح لهذه النهاية . . ولكي يعبر عن شكره

أخذ يتمسح بأم خالد ويقبل يدها التي لا زال ممسكاً بها . . فقال المفتش جميل :

- ها قد اعتذر سرور . . . لا شك أنه كان يجهل أن ما فعله يعتبر سرقة و . . . تذكر فصيح السرقة ، ولصوصية سرور ، فلم يترك المجال للمفتش ليكمل حديثه ، فأخذ يصيح :

- سرور لص . . . مانجا . . . سرور لص . . . لص . . .

التفت خالد إلى سرور وهو يقهقه . . . فوجده في حالة يرثى لها ، يكاد يتحرق من الغيظ ، وهو يهدد فصيحاً بنظراته النارية ، ويلوح بقبضته في وجه فصيح . . . كل هذا وفصيح يركن في حجر ليلى مطمئناً إلى عدم وصول سرور إليه . . . فلن يناله منه أذىً ، . . . فلما انتهى خالد من الضحك قال :

- الآن فهمت . . . لقد سطا سرور على حديقة الجيران . . . وسرق المانجا . . . أليس كذلك ؟؟ . . .

اشتد الغضب بسرور ، وهو عاجز عن إنزال العقوبة بهذا الثرثار ، فنظر إليه ووَدّ لو استطاع أن يمسكه ، ولو للحظة . . . ولكن . . . ها هو فينو يدخل مسرعاً وهو يلهث . . . ويطلق زمجرة غاضبة ، ولا يكف عن تحريك ذيله وقائمتيه الخلفيتين ، ذات اليمين وذات الشمال . . . فاستدعى تصرفه المفاجىء نظر خالد الذي قال :

- فينو . . . ما بك ؟ . . .

نظر إليه الكلب الذكي . . . واستدار إلى حيث أتى ، وتوجه مسرعاً . . . ولكنه توقف ليرى إذا كان خالد قد تحرك ، تابعه خالد بنظراته المتسائلة وهو يفكر . . .

- ماذا أصابه ؟ . . . كأني به يدعوني للحاق به . . .

ولم يتأخر خالد . . . فقد تبع فينو إلى حيث يريد . . . هبط فينو الدرج مسرعاً ، ولحق به خالد الذي وجده بانتظاره عند أسفل الدرجات الخمس امام المدخل المؤدي إلى الحديقة . . . فلما اقترب منه خالد ، أسرع فينو وتوغل في الحديقة ، وخالد يتبعه بخطى حثيثة . . . كان المفتش ، وباقي أفراد الفرقة يتابعون المشهد من على الشرفة . . . فسأل خالداً :

- ماذا هناك يا خالد ؟ . . .

أجابه خالد :

- لست أدري . . .

غاب فينو وراء الأشجار الكثيفة ، ولم يعد خالد يراه بعد أن التفت ليجيب المفتش على سؤاله ، فوقف خالد برهة ، ليقول :

- لست أدري ما أصابه ، ولكن من المؤكد أن أمراً ما قد أثاره . . . سألحق به لأرى ما هنالك . . .

وأسرع خالد يغذ السير في الاتجاه الذي سلكه فينو ، وما لبث أن غاب عن أنظار الفرقة هو الآخر . . . ويبدو أن سروراً لم يعتد الانتظار ، ولعله يريد التخلص من تهكم فصيح وثرثرته ، لهذا فقد سارع بالقفز إلى شجرة التوت القريبة من الشرفة ، وبخفته المعهودة هبط على أغصانها ، وما ان وصل إلى أرض الحديقة حتى أخذ يركض ، فقد اختفى بدوره عن أنظار الجماعة . . . لفت تصرفه نظر السيدة سعاد فقالت :

- إن هذا القرد في منتهى الذكاء . . . انتهزها فرصته ليتخلص من موقف لا يحسد عليه أبداً . . .

بانتظار ما ستسفر عنه رحلة خالد وفينو . . . عاد أفراد الفرقة للحديث

عن سرور وحالته وردود فعله . . . فقالت ليلى :

- لن أنسى ما حييت نظراته الحزينة عندما اتهمناه بالسرقة . . . وأثنى المفتش على كلام ليلى قائلاً :

- كانت نظراته مشوبة بالدهشة وعدم التصديق . . . والغضب من صاحبنا . . .

وأشار إلى فصيح . . . وتابع :

- اعتقد انه لن يغفر لفصيح ثرثرته ، ولا استبعد سماع صراخ استغاثته قريباً . . .

هنا تدخلت زوجته وقالت :

- ستكون معركة طاحنة ولا شك . . . معركة يكون لها ألف حساب . . .

مفاجـأة

تبع خالد فينو حتى نهاية الحديقة ، وهناك ، قرب السور المغطى بأغصان شجر الياسمين المتشابكة ، وفي زاوية ظليلة وقف فينو أمام حفرة غطتها الأعشاب ، وأخذ يزمجر غاضباً ، يريد أن يعرف خالد مكانه . . . نظر خالد إلى الحفرة وعقدت الدهشة لسانه ، كانت الحفرة مليئة بأكياس من البلاستيك ، ترسل بريقاً خافتاً يعكس أشعة الشمس المتسربة خلال الأغصان . . . تعرف خالد على محتويات هذه الأكياس . . . وتمالك نفسه وهدأ من روعه . . . وأخيراً تكلم :

- رباه . . . ما هذا ؟؟ مخدرات ؟؟ . . . انحنى نحو الحفرة وأخرج منها كيساً ونزع عنه غلافه الخارجي ليتأكد من صدق حدسه ، ولم يتأخر عن

العودة إلى جماعة المنتظرين ، فهرول مع فينو نحو المنزل وما كاد يلمح والده حتى صاح :

- بابا . . . ليتك تنزل لترى ماذا اكتشف فينو وتعرف سبب توتره . . .

تغيرت ملامح المفتش الوقور ، وارتسمت على وجهه علامات الدهشة والاستغراب . . . ولكن الأم لم توافق خالداً ، فقالت :

- اصعد أنت لتناول الإفطار . . . وبعدها اذهبوا إلى حيث تريدون . . .

ولم يترك خالد مجالاً لوالدته لكي تكمل حديثها . . . فلوح بالكيس الذي بيده وأردف قائلاً ، يريد إثارة الفضول عند والده :

- لا أظن أن الإفطار أهم عند المفتش من هذا الصيد الثمين . . .

ازدادت دهشة المفتش ، وجحظت عيناه ، وهب واقفاً وقال وهو ينزل السلم بخطى حثيثة :

- يا إلهي . . . ما هذا ؟ . . . انتظر سأنزل فوراً . . .

استبدت بأفراد الفرقة الرغبة في معرفة ما بيد خالد ، خاصة بعدما تحرك المفتش بهذه السرعة المذهلة ، وأطلوا من على الشرفة وكانوا ينظرون باستغراب إلى ما يجري . . . وعادت السيدة سعاد تسأل :

- ماذا وجدت يا خالد ؟ وهل هو مثير إلى هذه الدرجة ؟؟

كان المفتش قد وصل الى خالد وهو يلهث ، وبحركة آلية تناول الكيس من يده وما كاد يلمح ما بداخلها حتى هتف بذهول :

- يا الله . . . أين عثر فينو عليها . . .

لم يتأخر خالد بالجواب ، فقال :

- هناك حفرة قرب السور الفاصل بيننا وبين المنزل المجاور ، تكدس فيها عدد لا بأس به من هذه الأكياس .

وبالحرص المعهود عند المفتش جميل على سلامة الآثار الموجودة ، توجه الى خالد بسؤال ، أصبح تقليدياً عنده :

- خالد . . . هل لمست شيئاً ؟

ولكن خالداً الذي تعددت مغامراته في هذا المجال ، واتسع اطلاعه على هذه الأمور ، أجاب والده إجابة خبير بها :

- لا يا أبي . . . لم أحاول لمسها حتى أمحو أثراً قد يفيد في كشف صاحبها . . .

نظر إليه المفتش بإعجاب وإكبار وقال باسماً :

- إذن . . . أرشدني إلى مكانها . . . إنها عمل فظيع . . . إنها كارثة . . .

لم يعهد خالد مثل هذا الاهتمام عند والده . . . فنظر إليه مستغرباً ، والدهشة بادية على محياه ، وقال :

- ما وجه الفظاعة يا أبي ؟ . . . وأية كارثة من وجود هذه الأكياس ؟ . . .

وقبل أن يجيبه ، تقدم المفتش نحو الحفرة ، وقال وهو يجد بالسير :

- ألا تعتبر إدخال المخدرات الى بلادنا كارثة على أبناء الوطن ، وعلى مقدراته المعنوية والاقتصادية أيضاً ؟ . . .

لم يتحمل أفراد الفرقة عذاب الانتظار ، فتحركت في نفوسهم رغبتهم الدائمة في اكتشاف المجهول ، فلحقوا بمن سبقهم ، فمن يدري ؟ . . . لعل مغامرة جديدة في طريقها إليهم . . . كان أول الواصلين عصاماً الذي سمع ما قاله المفتش ، فقال مشاركاً ، كأنه يعلن عن وصوله :

- وما شأن الوطن ومقوماته بما يجري هنا ؟ . . .

انتبه المفتش الى وجود عصام ، وقال بحزم :

- ألا تعتبر تفشي المخدرات في بلادنا وبين شبابنا تهديماً لأركان الوطن بالقضاء على شبابه . . . بنظري ان المخدرات سلاح متعدد الأخطار ، فهو يقضي على الروح الخلاقة عند الشباب ، ويزرع في نفوسهم اليأس ، ويسلبهم شخصيتهم . . . إنه الفساد كاملاً . . . بالاضافة الى ذلك فالمخدرات تستنزف ثروة الوطن وهكذا فهي تقضي على مقوماته الاقتصادية ، لأنها تدخل دون دفع الرسوم ، وتبعد الشباب ممن يتعاطاها عن العمل المنتج وهي الى ذلك تباع بثمن مرتفع جداً . . .

انتهى كلام المفتش عند وصولهم جميعاً الى مكان الحفرة التي وقف أمامها فينو يلوح بذيله سعيداً ، وفيما كان المفتش يمنعهم من الاقتراب أكثر ، لمح سروراً يعبث بداخلها ، فزجره قائلاً :

- سرور . . . اترك ما بيدك واصعد هنا فوراً . . .

ودون تردد ، قفز سرور من الحفرة ، ولكي يتحاشى الجميع تابع القفز إلى أقرب شجرة ، ولاذ بأغصانها العالية ، يشرف على الجميع ، ويراقب ما يدور حوله . . . فكّر عصام بكلام المفتش ، ولكنه أراد ان يعلق على هذا الحدث ، فقال مستنكراً :

- وكيف يفعل مواطن شريف عملاً كهذا ؟ . . . كيف يهدم اقتصاد وطنه ، وينشر الفساد في نفوس أبناء مجتمعه ؟ . . .

فطن المفتش لكلام عصام ، وكان سروره به عظيماً ، واغتنمها فرصة ليشرح لأفراد الفرقة عن أسباب هذه الموجة من أعمال التهريب ، فقال :

- ليس من شيمنا تعاطي المخدرات ولا من عاداتنا الاحتيال على القانون ، والقيام بأعمال غير مشروعة وغير قانونية ، وأغلب الظن ان هذا من تأثير « الخارج » على مجتمعنا . . . بل من تدبيره . . .

أثنى خالد على كلام المفتش ، وقال مؤكداً ما ذهب إليه والده :

- أظنني قرأت عن موجة التهريب هذه تجتاح بلادنا ، وهي من تنظيم عصابات كبرى في الخارج ، وقد غزت وطننا في أعقاب الحرب ، على ما أذكر . . .

وأضاف معلقاً على هذه الظاهرة : . . . . فتساءل :

- ألا يكفي هؤلاء الأشرار إفساد مجتمعاتهم . . . لماذا يريدون إفساد حياتنا ؟؟ لماذا يريدون تدمير وطننا ؟؟ لماذا يريدون القضاء على مستقبل شبابنا ؟؟ . . .

أعجب المفتش بكلام خالد الرصين ، وبهرته غزارة معلوماته وحسن تقديره للأمور ودرس أبعادها ، فقال يطمئن الجميع ويخفف من هواجس خالد :

- معلوماتك سليمة ودقيقة يا خالد . . . ولكن أريد أن أؤكد لكم أن سلطات الأمن في بلادنا ، والمواطنون المخلصون أمثالكم ، كافحت هذه الموجة الوافدة الينا من الخارج . . . فقد قامت السلطات بأعمال جبارة في هذا المجال وقضت على هذه الأعمال قضاء تاماً . . . ولكن . . . ما يحيرني وجود مثل هذه الكمية من الأكياس . . . وفي حديقة منزلي بالذات . . . أتدرون بِكَمْ يقدر ثمن هذه المخدرات ؟؟ . . .

فوجىء الجميع بسؤال المفتش الذي تابع قائلاً :

- قد لايقل ثمنها عن المليون دولار . . . إن لم يكن ضعف هذا المبلغ . . .

أطلق وليد صفيراً حاداً معبراً عن دهشته وقال :

- مليون دولار ! . . . يا إلهي ! . . .

ولكن المفتش لم يُضع الوقت سدى ، بل راح يبحث عن آثار قد ترشده إلى دليل فشرع يتفحص المكان جيداً ، وبعناية فائقة ، وهو يتابع حديثه :

ـ على كل حال . . . قد يكون تقديرنا مبالغاً فيه ، وقد تقدر هذه الكمية بأضعاف الملايين .

توقف المفتش عن الكلام ، وانحنى يلتقط شيئاً أمسكه بمنديله الذي طواه عليه بعناية ثم دسه في جيبه ، وتابع فحصه للمكان . . . وبعد برهة ، توقف ليقول لهم :

ـ إبقوا هنا ريثما اعود . . . سأتصل بمكتب مكافحة المخدرات . . . عصام . . . لا تدع أحداً يقترب من الحفرة فهناك آثار كثيرة . . . سأدعو خبير المعمل الجنائي ليكشف لنا غوامضها . . إحذروا ان يقترب سرور ويعبث بشيء كعادته . . .

تدخل وليد ليسأل :

ـ ألا يجب أن نعرف كيف تمكنوا من الدخول إلى هنا . . .

أجابه المفتش وهو يهمُّ بالابتعاد نحو المنزل قائلاً :

ـ سنعرف كل شيء في حينه . . .

وتساءل خالد بحيرة واضحة :

ـ الدخول ليس بالأمر العسير . . . إنما ما يحيرني هو لماذا وضعوا هذه البضاعة مكشوفة ؟ لماذا لم يردموا الحفرة ؟ . . .

أطرق المفتش قبل أن يغادر المكان ، وأجاب وهو يسرع بالذهاب .

ـ لا وقت لدينا نضيعه في الحديث . . . انتظروا حتى يبدأ التحقيق . . .

وفي الطريق التقى المفتش بزوجته وليلى ذاهبتان إلى الحديقة لاستجلاء الأمر ، فبادرته السيدة سعاد قائلة :

ـ ما الخبر يا جميل ؟ . . .

أجابها دون ان يتوقف ، بعد أن أبطأ بالسير :

ـ اكتشف فينو مخبأ للمهربين في حديقة منزلنا . . .

سيطر الذهول على الزوجة ، فحملقت في وجهه ، ووجه ليلى وتبعته إلى المنزل وهي تقول :

ـ مهربون !؟ في منزلنا ؟! . . . وماذا وجدتم في هذا المخبأ ؟ . . . لا شك أنها كماليات مستوردة . . .

ضحك المفتش عندما سمع الجزء الاخير من كلام زوجته ، وكان قد وصل إلى البيت ، واتجه مباشرة إلى مكان الهاتف ، رفع السماعة وأدار القرص يطلب رقماً ، وفي لحظة انتظار الرد ، قال لزوجته . . .

ـ حقاً . . . هي بضائع من الخارج . . . مستوردة كما تقولين . . . ولكنها ليست كماليات كما تظنين . . . إنها اكبر وأخطر من ذلك . . .

عقدت الدهشة لسان الزوجة ، فلم تعرف ماذا تريد أن تقول . . . وفي هذه الأثناء سمع المفتش الرد فقال :

ـ آلو . . . ماهر . . . أرجو أن تحضر حالاً . . . نعم . . . يبدو أن رزقنا قد سبقنا الى المصيف . . . أرجو ان تحضر بسيارتك الخاصة وأن توقفها بعيداً عن منزلي . فلربما كانت هناك مراقبة . . .

افترت شفتا المفتش عن ابتسامة ، وأردف قائلاً :

ـ لا . . . لا أقصد منزلي . . . عنيت المنزل المجاور . . .

لا تستعجل الأمور . . . ستعرف كل شيء عند حضورك . . . أسرع اذن ما دمت تريد معرفة ما حصل . . .

وضع جميل مسرة الهاتف . . . وكأنما تذكر امراً . . . فرفعها ثانية وأدار

القرص وهو يهدد ويتوعد . . . والسيدة سعاد ترقبه مستغربة وقد انضمت إليها ليلى لتسمع المفتش يقول :

ـ الويل لهم . . . يتحدونني في عقر داري . . . سيدفعون الثمن غالياً . . . هل ضاقت بهم الأرض فلم يعجبهم إلّا حديقة منزلي ؟؟ إنها وقاحة دون ريب . . . ولكن سوف يكون عقابي شديداً على كل من يخالف القانون ويتعدى على حرمة وطني ومنزلي ايضاً . . .

أراد ان يعبر عن استيائه وغضبه بأعنف من هذا ، ولكن الرد على طلبه هاتفياً قطع عليه حديثه ، فقال :

ـ آلو . . . مكتب مكافحة التهريب . . . أنا المفتش جميل من المخابرات العامة . . . أرجوك صلني بمكتب العقيد سليمان . . .

وسكت المفتش ، ونظر إلى البعيد يفكر بما حدث ثم قال :

ـ آلو . . . من . . . سليمان . . . صباح الخير . . . من اين أتكلم ؟ . . . من منزلي الصيفي . . . طبعاً . . . نعم . . . حضرنا أمس لنمضي الإجازة الصيفية ، ولكن يبدو أن العمل يلاحقنا أينما ذهبنا . . . لا داعي لسرد التفاصيل الآن . . نعم أحضر ومعك الخبير من المعمل الجنائي . . . لا تنسَ أن تأتي متنكراً ، بعناية . . ربما كانت هناك بعض العيون تراقب وأنت أشهر من ان تعرّف . . . حسناً . . . أنا بالانتظار وكذلك المفاجأة عندي . . . الى اللقاء . . . إلى اللقاء بسرعة . .

لم يشأ العقيد سليمان ان ينهي المخابرة دون معرفة السبب الذي من أجله طلبه زميله المفتش جميل ، وهنا سمعته ليلى والسيدة سعاد يقول وهو لايزال ممسكاً بسماعة الهاتف :

ـ يكفي ان تعرف أن صيداً ثميناً بانتظارك عندي . . . لا . . . لا أريد

التحدث عنه على الهاتف . . . ما دمت تصر على معرفة كل شيء أسرع في الحضور فهذا أنفع . . . . آلو . . . سليمان . . . قبل ان تحضر أرجو ان تكلف احد رجالك الاتصال باليونان والسؤال عن « صديقنا » ستافروبندليس . . .

يبدو أن العقيد سليمان ذكر شيئاً اضحك المفتش الذي عاد ليؤكد الطلب الى زميله :

ـ نعم . . . سنعرف . . . وستعرف كل شيء متى حضرت إلينا . . . ومتى تم الاتصال باليونان . . . نعم ستافروبندليس . . . إلى اللقاء . . .

وضع المفتش السماعة من يده ، وفارقت الابتسامة شفتيه ، وظهرت علامات الجد الممزوج بالغضب على وجهه ، ضيّق حدقتي عينيه ، ونظر الى البعيد وهو يقول :

ـ يجب أن اعرف كيف تمكنوا من دخول الحديقة دون أن نشعر بهم . . .

قاطعته زوجته التي كانت تراقبه مع ليلى وقالت غاضبة :

ـ ويجب ان تعرفهم كذلك ، وكيف دفعهم الغرور ان يتجرؤوا على المفتش جميل . وان يختاروا حديقة منزله لإخفاء « مستورداتهم » .

انتبه المفتش لكلام زوجته ، وشرد بفكره بعيداً ثم قال :

ـ إنها ولا شك خطة ذكية تدل على دهاء صاحبها . . لقد اختار المكان الذي يؤمِّن فيه على بضاعته . . . فقد اختار مكاناً لا يتطرق إليه الشك . . . فمن يفكر ان منزلي أنا ، منزل المفتش جميل أصبح مخزناً للمهربات . . . إنها مغامرة ذكية وجريئة لا يقدم على القيام بها إلّا كل ضليع في عالم التهريب . . وكل خبير بفنون الاحتيال على القوانين . . .

وقبل ان يتم مناجاته ، قاطعته السيدة سعاد لتقول :

- ولكني سمعتك تذكر اليونان وستافرو . . . أهو ضالتك ؟؟ . .

تنبه المفتش وتذكر أنه يتكلم كمن يفكر بصوت عال ، ونظر إلى زوجته بإعجاب ليسألها :

- وهل تذكرين ستافرو بندليس يا سعاد ؟؟

أجابته على الفور :

- وكيف أنسى اول من حاول رشوتي بمئة الف دولار ؟؟ .

نعم هذا هو شعور المواطن الصالح الذي لا يساوم على كرامة وعزة وطنه ، وكيف تنسى من يريد ان يدفعها الى الهاوية فتسقط مع الخونة ، ومع من باع وطنه بدريهمات لا تساوي شيئاً ؟؟ ولو كانت مئة الف دولار . . .

تابعت سعاد وهي تتذكر :

- ولكن ألم يحاكم يومها ويحكم عليه ؟؟ اذكر انني سمعت منك مثل هذا الكلام ؟

أومأ المفتش برأسه علامة الإيجاب وقال :

- نعم . . . لقد حوكم وحُكِمَ عليه بالأشغال الشاقة المؤ بدة . . . ولكن حكومته ارسلت تطلب منا ترحيله ليقضي مدة عقوبته في سجونها ، وبما ان بيننا وبين بلده اتفاقاً لتبادل المجرمين ، فقد لبَّينا طلب حكومته ورحلناه الى مسقط رأسه . . .

ولكن الزوجة أرادت ان تعرف سبب ذكره الآن فقالت :

- وما الذي ذكرَّك به الآن ؟ . . . أتظن أنه هو صاحب هذه البضاعة ، رغم أنك تذكر انه في السجن ؟؟

أعجب المفتش بملاحظة زوجته ، وهز رأسه وقلب شفتيه ليقول :

- مجرد احتمال ، ومهنتنا تتطلب منا تصور حالات كثيرة ، وألاّ نستبعد اي احتمال مهما بدا بعيداً . . . إنه الشك . . . والشك يؤدي الى اليقين لا محالة . . .

وتذكر المفتش وجود ليلى إلى جانبهما ، وأحس بحاجته الى فنجان من القهوة ليركز تفكيره ، فطلب منها ان تحضره له قائلاً بشيء من المبالغة :

- ليلى . . . اعدّي لنا فنجاناً « كبيراً » من القهوة المرة . . . كما تعلمين . . .

أسرعت ليلى ملبية طلب المفتش الذي اخرج من جيب سترته المنديل الذي يحوي ما التقطه من الحفرة ، وفتحه . . . كان ما بيده زر كبير ، أسود اللون تفحصه المفتش بعناية ، ثم أعاده الى المنديل بعد ان قلّبه من جميع جهاته ، وأعاد المنديل الى جيب سترته دون ان يلمس الزر ، كانت السيدة سعاد تراقبه دون ان تتكلم حتى لا تقطع عليه أفكاره ، ولكن فضولها دفعها لتسأله :

- ما هذا ؟ . . . أليس زراً ؟ . . .

هز رأسه موافقاً دون ان يتكلم ، فقالت :

- ولكنه زر ، معطف على ما يبدو . . . اين عثرت عليه ؟؟

يعرف المفتش ان زوجته مولعة بطرح الأسئلة ، فقد عوّدها ان يقص عليها أخباره وملاحظاته واستنتاجاته كذلك ، لهذا السبب لم يتبرم من سؤالها الذي أجابها عليه بالقول :

- عثرت عليه داخل الحفرة ؟ . . .

أجابته ببساطة :

- لا شك انه كان هناك من قبل . . . أوَتظن أنه لصاحب البضاعة ؟ . . .

هل يعقل أن يلبس أحدهم معطفاً في هذا الجو الخانق ؟؟ . . .

قال بهدوء ، وهو يحاول ان يقنعها برأيه :

ـ ولكنني لا أشك لحظة أنه وقع في الحفرة حديثاً ؟ أنا شبه متأكد مما أقول . . .

لم تقتنع برأي زوجها ، فرفعت حاجبيها وقالت بدهشة :

ـ وكيف عرفت ؟ . . .

حافظ المفتش على هدوء أعصابه وأخذ يشرح لها قائلاً :

ـ الأمر لا يحتاج الى ذكاء . . .

وأخرج الزر من جيبه ودعاها لتنظر اليه من جديد : وهو يقول :

ـ كما ترين . . . الزر بادي الجدة . . . ولونُه ثابت لم يتغير وهذا يدل على أنه لم يتعرض للشمس طويلاً ، ومن ناحية ثانية فإن الغبار لم يتجمع عليه بكمية توحي أنه موجود في مكانه منذ فترة طويلة . . . والحفرة ما زالت حديثة كما تعلمين . . .

بهر الجواب الذكي أم خالد التي نظرت الى المفتش بإعجاب وهي تقول :

ـ وهل تعتقد انه يمكن الإفادة منه ؟؟

هز رأسه وزم شفتيه ، وبحركة من يده أراد أن يشرح لها أنه لم يتوصل الى اليقين بعد ، وقال لها :

ـ من يدري . . . ربما وجدنا عليه بصمة صاحبه .

ملّت الزوجة الحديث ولم يبق عندها سؤال تطرحه ، ولكنها تذكرت انها والعائلة في بداية الإجازة الصيفية فقالت بحسرة :

ـ كنا نمني النفس بقضاء إجازة طويلة وهادئة . . .

لم يدعها المفتش تغرق في تشاؤمها فتطلع اليها مستغرباً قولها وقاطعها قائلاً :

ـ وما الذي جرى حتى لا نتمتع بعطلتنا كما نرجو ؟؟ . . . إنك تعلمين أن لمكافحة تهريب المخدرات قسم خاص به ، وانا لا علاقة لي بهذا القسم ، وإن كنت أساعد زملائي في بعض القضايا ، فلأن بعضها أحياناً ، يرتبط بالبعض الآخر ، كأن تكون جريمة قتل مثلاً بسبب عملية تهريب . . .

راودها بعض الأمل ، فقالت بلهفة :

ـ أتعني أنك لن تشترك في التحقيق بهذه القضية ؟؟

أجابها بحذر رجل الأمن ولكي لا يطفىء شعاع الأمل الذي أفرحها :

ـ سيحضر العقيد سليمان ليباشر التحقيق . . . وسأحاول ان أكون مجرد شاهد وقع الحادث في حديقة منزله . . . ليس أكثر . . .

ظهرت ليلى تحمل بيديها صينية القهوة ، وقدمتها للمفتش ، وما أن انتهى من شربها حتى هب واقفاً ، كمن تذكر امراً مهماً ، وقال :

ـ لنذهب إلى مكان الحفرة . . .

أعجبت السيدة سعاد بالفكرة ، وكلها شوق ولهفة لترى المهربات فقالت :

ـ نعم . . . أريد أن ألقي نظرة قبل وصول العقيد ورجاله . . .

وعند الحفرة ، انضم المفتش وزوجته وليلى الى المجموعة التي كانت بالانتظار ، فقد كانت الزوجة أول الواصلين واكتفت بالوقوف امام الحفرة تنظر باهتمام الى ما بداخلها ، وتبعتها ليلى التي تجاوزت الحفرة الأرضية متقدمة نحو السور ولكنها توقفت فجأة وعادت أدراجها عند سماع صوت

المفتش يقول لها :

- ليلى . . . لا تتقدمي أكثر . . . قد تطمسين أثراً دون ان تنتبهي . . .

عادت ليلى لتقول رأيها بعد ان استرعى انتباهها وجود حفرة في السور ، فأجابت المفتش بالقول :

- عمي . . . إن الأمر واضح كل الوضوح . . .

دهش المفتش من ثقة ليلى بما تقول ، واستغرب كيف ان الأمر واضح جلي بالنسبة لها ، وغامض بالنسبة لديه فسألها :

- أي أمر تعنين ؟؟ . . .

أشارت الى فجوة في الجدار أخفيت بمهارة حتى لا تلفت الانـظار ، وأردفت قائلة :

- هذه الفجوة يا عمي . . . إن في السور فجوة أعدت بدقة وعناية . . . والدليل ان من أعدها حرص على إخفائها بازالة أي أثر للحفر ، انظر ، المكان نظيف تماماً . . .

سُرّ المفتش لهذا الاكتشاف وتقدم نحو ليلى وربّت على كتفها ، ثم تقدم قليلاً من مكان الفجوة وعكف على فحص ما حولها بحذر وعناية ثم قال :

- رائع يا ليلى . . . استنتاج رائع . . .

تدخل فصيح ليعبر عن ولائه لها فهتف :

- ليلى رائعة . . . ليلى رائعة . . .

أراد المفتش أن يعرف رأي ليلى كاملاً ، لا سيما وأنهـا أكدت جـلاء الأمر ، فقال :

- اكملي يا ليلى . . .

وبهدوء ورزانة ، وبكلام الواثق من نفسه أجابت :

- الأمر لا يحتاج لشرح يا عمي . . . كل ما في الأمر ان حفر الفجوة تمّ ليدخل منها المهربون الى هنا . . .

تدخل خالد في الحديث قائلاً :

- من يفعل كل هذا ، وبدقة متناهية . . . كيف يترك بضاعته مكشوفة هكذا ؟؟ ألم يكتشفها فينو بسهولة ؟؟ لا بد من سبب لهذا العمل ؟

كان الوالد يستفيد من أسئلة أفراد الفرقة ، لذلك أجاب ولده بالقول :

- هناك تفسير مقبول لذلك . . .

دهش الجميع ، ونظروا الى المفتش بدهشة واستغراب . . . إذ كيف يعرف السر وهو لم يتعرف على الموضوع منذ أمد بعيد ؟ واشتد اهتمـام المغامرين بتحليل المفتش وسكتوا بانتظار ما سيقول . . . فتـابع حـديثه شارحاً :

- لو فحصنا الحفرة لأدركنا انها حفرت على عجل . . . ولم يهتم حافرها بـازالة التـراب النـاتـج عن عمليـة الحفـر . . . بعكس مـا حـدث لنقب السور . . .

هنا تدخلت الزوجة بالحديث لتسأل :

- وماذا يفهم من هذا الشرح ؟؟ . . بل ومن هذا العمل كله ؟؟

استدرك المفتش انه من السابق لأوانه . . . ولكن ما اعتقده ان اكثر من شخص اشتـرك بالعمـل . . . بمعنى ان البعض قـام بنقب السـور . . . والبعض الآخر قام بالحفر . . . ولكن المؤكد ، كما قالت ليلى أن النقب في السور تمّ كي يسهل الدخول والخروج بحرية ، وفي أي وقت ، من وإلى الحديقة . . .

لمعت فكرة في ذهن خالد ، فقال :

- في حالة كهذه . . . يجب التحري عن سكان المنزل المجاور . . .
تأمله والده برهة ، ثم قال :
- نعرف أن هذا المنزل يؤجر لمصطافين في كل موسم ، . . . ويمكننا ، وبسهولة ، معرفة ما إذا كان تم إشغاله هذه السنة ، ومن هو المستأجر ومتى كان ذلك ، نعرف هذا من الدلائل . . . وكما ترى فالأمر في غاية البساطة .
وهنا توجه الجميع الى المنزل بانتظار وصول من طلبهم المفتش .

اول الغيث

استقر أفراد الفرقة في المنزل ، وبقي فينو يحرس السم المهرب ، بعد هنيهة ، تناهى الى سمعهم هدير محرك سيارة تتوقف أمام بوابة المنزل ، وقفوا يستطلعون الخبر ، فشاهدوا النقيب ماهر يدخل مسرعاً . . . استعد المفتش لاستقباله ، فبادره ماهر بسؤاله :
- شغلت بالنا يا سيدي . . . ماذا جرى ؟؟
وضع المفتش يده على كتف النقيب واتجها معاً نحو الحفرة ، والمفتش يردد :
- لم العجلة . . . سوف ترى بنفسك ماذا جرى . . .
وهناك ، وقف فينو يرقب جماعة الوافدين ، وهو يهز ذيله غبطة لوجود افراد الفرقة جميعاً الى جانبه ، وأشار المفتش الى الحفرة وقال لماهر :
- انظر ! . . . ما رأيك ؟؟ . . .
شهق ماهر ، واستولت عليه الدهشة ، فهتف :
- يا إلـهي ؟!

قدم المفتش الكيس الذي أحضره فينو للنقيب ماهر وهو يقول :
- تفحص هذه العينة ؟ . . .
نظر النقيب الى العلامة التي يحملها كيس البلاستيك ، ولاحظ وجود اسم الشركة التي تصنعها . . . وقال :
- ان هذه العلامة لماركة عالمية ، وهي من اشد أنواع هذه السموم خطراً . . .
ابتسم المفتش ، لأنه كان يريد أن ينظر النقيب الى الغلاف البلاستيكي ، وقال :
- انا لا أقصد الماركة . . . انظر الى الزاوية قرب سبابتك ، ألا ترى ارقاماً صغيرة القياس نسبياً ؟ . . إنه تاريخ صنعها . . .
أمعن ماهر النظر جيداً ، وقرأ التاريخ بصوت مرتفع :
- ثم نظر الى المفتش وبعملية حسابية ذهنية قال :
- اي منذ شهرين تقريباً . . . أو يزيد . . .
توقف برهة عن الكلام وأطرق يفكر ، ثم فجأة قال وهو يحدق في الكيس بيده . . .
- إذن دخولها الى البلاد قريب العهد . . . وتهريب مثل هذه الكمية يحتاج لدراسة ، ولإعداد دقيق ومسبق ، يكفلان عدم ضبطها . . . ولا شك ان هذا يستغرق اكثر من شهرين . . .
تدخل عصام بالحديث ، وقال دون مقدمات :
- . . . أظن أنني رأيت أصحاب هذه الموجودات . . .
ران على الجميع سكون عميق ، فكلام عصام أذهلهم ، كان كمن فجر قنبلة زرعت الدهشة في نفوسهم ، فالتفتوا جميعاً ناحيته ، وبادره المفتش

بالقول :

ـ رأيت . . . ماذا ؟؟ . . تقول رأيت أصحابها ؟؟ . . .

انتبه عصام لتأثير عبارته ، وأجاب ببساطته المعهودة :

ـ نعم . . . أعتقد ذلك . . . فقد رأيت ثلاثة رجال أمام باب المنزل المجاور لحظة قدومي الى البيت . . . وأظن انهم ضالتنا . . .

كان واضحاً ان المفتش يهتم بما قاله عصام ، فسكت الجميع وهم ينظرون اليه ، ولكن المفتش كان يحثه على ما عنده من معلومات فطلب منه :

ـ عصام ؟ . . أي منزل تقصد ؟؟؟ ماذا تريد أن تخبرنا . . . أوضح !

لم يتأخر عصام عن إعطاء الجواب ، فبادر المفتش بالقول :

ـ عقب وصولنا كلفتني خالتي سعاد شراء بعض الحاجيات من المحل في آخر الشارع ، وأثناء ذهابي شاهدتهم . . . كانوا ثلاثة . . . نعم . . . كانوا ثلاثة يقفون امام باب المنزل المجاور .

وبغريزة رجل الامن الساهر أبداً ، طلب المفتش ان يصفهم له قائلاً :

ـ هل نظرت اليهم ملياً ؟ . . . اعني هل بامكانك وصفهم او التعرف عليهم ؟ . . .

أجابه عصام وهو يهز رأسه ، ويقلب شفتيه :

ـ لا أعتقد ان بامكاني التعرف عليهم أو وصفهم ، لأنني لم أنظر إليهم مباشرة وبقصد ، جُلّ ما في الأمر انني نظرت ناحيتهم نظرة عابرة أثناء سيري . . .

لم يترك المفتش الفرصة لعصام كي يتم كلامه ، بل طرح عليه سؤالاً آخر ، وبالحاح :

ـ حاول ان تتذكر يا عصام ، ما هي أوصافهم . . . هل هناك علامات

مميزة . . . في الثياب مثلاً ؟ في الشكل ؟ . . .

ـ هز عصام رأسه بالنفي من جديد ، ولكن . . . بعد لحظة اطرق فيها ينظر الى الأرض ، قال كمن يتذكر :

ـ لا يمكنني وصفهم بأكثر من ان احدهم كان قصير القامة ، يميل الى البدانة . . . اما الآخران فكانا متوسطي الطول . . . كانوا يرتدون القمصان والسراويل . . . وأذكر أنه كان إلى جانبه كلب ، ولعله هو ما لفت نظري لضخامته . . .

أراد المفتش أن يتأكد مما يسمع ، فسأله :

ـ كلب ضخم ؟ . . . أتقول ان معهم كلباً ؟ . . .

هز عصام رأسه بالإيجاب وأردف قائلاً :

ـ نعم . . . كلب ضخم . . . وهو من النوع الألماني على ما اعتقد .

ساد الصمت بعد حديث عصام والمفتش ، وقلّب الجميع أبصارهم في ارجاء المكان ، وقطع الصمت صوت المفتش يقول لماهر :

ـ ماهر . . . اعتقد ان العقيد سليمان سيواجه ستافرو بندليس في هذه القضية ؟

ذهل الجميع من هذا الكلام ، وكان أشدهم دهشة وذهولاً النقيب ماهر الذي بادر إلى القول :

ـ ستافرو ؟ . . . ولكنه محكوم وفي السجن منذ عام تقريباً . . .

أجابه المفتش بهدوء :

ـنعم . . . أعرف أنه في سجن بلاده ، وليس في سجوننا ، ولهذا أتساءل :

ـ أين هو الآن يا ترى ؟ . . . من يدري ؟؟

رد ماهر على تساؤل المفتش بتساؤل آخر ، وقال وهو يفكر :

- أتعني سيادتك انه تمكن من الهرب ؟ . . . حتى ولو فر من سجنه فإن آخر مكان يفكر في الحضور إليه هو البلاد التي ضبط وحوكم فيها . . . وإذا فعل هذا فهو بحاجة الى مصح للأمراض العقلية . . . لا إلى سجن انفرادي . . .

قاطع المفتش جميل النقيب ماهراً وقال :

- رأيي مخالف لما تقول يا حضرة النقيب . . . حضوره الى هنا مستبعد في نظر الجميع ، وهو عمل جنوني كما تقول . . . لذلك فقد يحضر وهو مطمئن . . . على أي حال . . . إن كلامنا مجرد افتراض . . . قد يكون صحيحاً وقد لا يكون . . .

نظر المفتش ناحية المنزل المجاور وهو يتفوه بآخر عبارته ، ثم طلب من الجميع ان يتبعوه قائلاً :

- يجب ان ننسحب من هنا ، فقد يكتشفوا اننا عرفنا بوجود الحفرة وما فيها . . .

والتفت الى خالد وطلب منه :

- خالد . . . أين سرور ؟ ناده . . . فلا نريد أن يفسد أي شيء . . .

استجاب سرور لنداء خالد ولحق بالجميع إلى المنزل ، وفي الطريق قال المفتش :

- خالد . . . إن لكم دوراً في هذه القضية . . . عليكم الاستعداد للقيام به منذ اللحظة : تهلل وجه خالد ، وظهرت على وجوه الآخرين علامات الفرح ، فقال خالد :

- حاضر يا أبي ، إننا على استعداد لتنفيذ ما تأمرنا به .

ونظر الى وجوه باقي أفراد الفرقة الذين هزوا رؤوسهم بالإيجاب . وقبل

ان يسأل خالد المفتش عن طبيعة المهمة ، قال الأب :

- انتشروا على سطح المنزل ، واحترسوا ان يظهر احدكم ، وراقبوا ، من عدة اتجاهات ، المنزل المجاور ومكان الحفرة . . . إذا لمحتم حركة ما ، أو رأيتم من يقترب من السور ، اتصلوا بي فوراً . . .

غادر أفراد الفرقة المكان بسرعة ، وقصد كل منهم غرفته يحمل عدة العمل اللازمة وخرجوا يحمل كل منهم منظاراً مكبراً واتجهوا مباشرة الى الدرج ولحق بهم الباقون وكان أسرعهم سرور الذي تسلق حاجز الدرج ، ثم فينو ، اما فصيح فكان يقبع هانئاً فوق كتف ليلى . خلا المكان من أفراد الفرقة ، مما أتاح المجال أمام ماهر ليطرح على رئيسه ما يدور في خلده من خواطر وأسئلة فقال :

- أتعتقد يا سيدي ، أنه ستافرو ؟

أجابه المفتش بهدوء وحزم :

- نعم يا ماهر ، هو أو عصابته على الأقل . . . هل نسيت أين عثرنا على بضاعته في المرة السابقة ؟

هز ماهر رأسه ، وأجابه :

- أذكر أننا وجدناها في حفرة مماثلة ، يا سيدي . . .

افتر ثغر المفتش عن ابتسامة لطيفة ، ثم قال :

- قد يكرر عمليته يا ماهر ، من يدري . . . ربما يريد ان يطبق المثل : « التاريخ يعيد نفسه » ، ربما . . . ؟

وسرح المفتش بنظره بعيداً وهو غارق في بحر أفكاره العميق ، فيمن يكون الفاعل ، وكيف يجب القبض عليه ؟ . . . والى جانبه يجلس ماهر مفكراً ، هو الآخر . . .



السجين الهارب ؟

قبل أن ينتهي المفتش من إطفاء سيجارته ، أطلّ من الباب الخارجي شيخ معمم يتوكأ على عصاه ، فابتسم المفتش وقال :

ـ لقد وصل سليمان . . .

سمعت السيدة سعاد صوت زوجها يذكر العقيد سليمان ، فهرعت الى الصالة حيث يجلس مع ماهر ، وقالت مستنكرة :

ـ حقاً ؟ . . . أين هو ؟ . . .

ضحك المفتش ملياً ، ثم قال :

ـ إن عدم تعرفكما عليه يُظهر أنه أحسن التنكر . . .

كان العقيد قد وصل الى أول الدرج ، فارتقاه معتمداً على عصاه حتى إذا أصبح في الداخل ، حيث هب الجميع وقوفاً لاستقباله ، اعتدل في وقفته ، ووضع يده على ظهره يتحسس موضع الألم من تمثيل دور الهرم ، وخلع عن عينيه النظارة السوداء ، وقال :

ـ السلام عليكم . . .

لم يتم عبارته حتى تلقفه المفتش واحتضنه ، وتبادلا قبلات المودة وقال المفتش :

ـ رائع في تنكرك يا سليمان . . . . لم يتعرف إليك أحد مع أنهم جميعاً يعرفونك عن قرب ، وهذا دليل على أن أمرك سيبقى من الأسرار ، وسيخفى على أذكى المتلصصين . هذا إن وجد ؟ . . .

ضحك العقيد سليمان من إطراء زميله وعاد ليسأل ملهوفاً :

ـ وبعد . . . ما الأمر ؟ . . ولم كل هذا التنكر والتكتم ؟ . . .

أشار له المفتش بأن اجلس ، وبدأ يحدثه عن تفاصيل ما حدث ، واختتم الرواية بأن دفع اليه بالكيس الذي حصلوا عليه ، وما أن رآه سليمان حتى جحظت عيناه ، وبهت للمفاجأة ، وهتف غير مصدق ؟ . . .

ـ مخدرات ؟ يا إلهي . . . عملية تهريب ؟؟ . . .

أجابه المفتش بهدوء : . . .

ـ نعم . . . كما ترى يا سليمان . . . مخدرات . . . على فكرة !! هل تم الاتصال باليونان ؟

تأخر سليمان بالرد كمن يريد ان يستفيق من هول المفاجأة ، ومع ذلك تمالك نفسه وقال :

ـ نعم . . . وسوف يتصلون بنا الى هنا فور حصولهم على المعلومات المطلوبة ؟

أجابه المفتش بحذر :

ـ إذن . . . يجب ان ننتظر الرد قبل القيام بأي عمل . . . وكل ما أرجوه هو أن لا يفطن أحد منهم الى وجودنا . . . إننا لم نصل الى هنا إلاّ بعد منتصف الليل . . . كما تعلم .

كان ماهر غارقاً في بحر أفكاره ، وكأنه أراد ان يشاركوه في تساؤلاته ، فرفع صوته بالقول :

ـ أليس مستغرباً أن يُعثر على ما أخفوه بهذه السهولة ؟ . . . لا أكاد أصدق ان كمية بهذا القدر تترك مكشوفة هكذا ، نهباً لأي عابر سبيل ؟ . . . ما السر يا ترى ؟ . . .

وهنا تدخل سليمان يستجلي بعض النقاط فقال :

ـ تقولون إن الحفرة غير ظاهرة . . . أليس كذلك ؟ . . .

أجابه المفتش جميل بإيماءة من رأسه ان نعم ، فتابع سليمان :

ـ إذن فلا غرابة ان تترك الحفرة مكشوفة . . . قد يكون في الأمر سر ، ومن هنا يجب أن ننطلق بتفكيرنا . . .

قال ماهر :

ـ هذا ما يشغل فكري ! فليست القضية قضية إهمال إذن . . .

أجابه سليمان :

ـ وأي إهمال يا ماهر . . . إن اختيار المكان ينم عن ذكاء وخبرة المخططين لهذه العملية ، فقد وضعوا بضاعتهم في المكان الذي لا يرقى إليه الشك ، ولكي تبقى في مأمن أيضاً . . .

أراد سليمان ان يتابع الحديث شارحاً وجهة نظره ، عندما تناهى إلى سمعهم رنين الهاتف فجأة ، ران على الجميع صمت ثقيل ، فيما كان المفتش جميل يرد على الهاتف :

ـ آلو نعم . . . من ؟ . . . العقيد سليمان . . . نعم موجود . . .

وضع راحة يده اليسرى على السماعة ، وقال :

ـ مخابرة لك يا سليمان . . .

أسرع العقيد الى الهاتف وقال :

ـ آلو . . . كمال ؟؟ ماذا ؟ . . . هل تم الاتصال باليونان ؟ . . . ماذا ؟ . . . أكمل . . . .

وانقطع عن الكلام واكتفى بسماع محدثه على الجانب الآخر ، وهو يهز رأسه بين الحين والآخر ، والجميع ينظرون الى وجهه يقرأون في تغيير ملامحه ماذا يدور من حديث . . . وكانت الانفعالات متباينة المعاني ، تنم عن ارتياح حيناً ، وعن دهشة وقلق حيناً آخر ، إلى أن قال في النهاية :

ـ كمال . . . استعدوا بقوة كبيرة وكافية ، وكن متأهباً للحضور فور اتصالي بك . . .

وعلى مهل . . . أعاد السماعة إلى مكانها ، وقال بذهول :

ـ لقد صدق حدسك يا جميل . . . لقد هرب ستافرو بندليس من سجنه واختفت آثاره . . .

انفرجت أسارير المفتش جميل ، وأبرقت عيناه ببريق خاطف وقال :

ـ عظيم . . . الآن ارتاح بالي . . . لقد عرفنا من هو خصمنا ، وهذا يسهل عملنا . . .

لم يوافقه العقيد سليمان على سهولة العمل ، وعاد بمخيلته لاستعراض ما حدث ، وقال :

ـ كان الأمر منذ البداية مثيراً للشك . . . كان الإلحاح في طلب ترحيله غريباً في ذلك الوقت . . . ولم يحدث أن اهتمت دولة بأحد رعاياها كل هذا الاهتمام . . . هل نسيت الزوبعة التي أثارها رجال السفارة . . . وكذلك الاحتجاجات التي انهالت على وزارة الخارجية وقتها . . . كان كل هذا من أجل مجرم حكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة . . . كان أمراً مثيراً للشك . . . لا بد أن أيد خفية كانت تسعى جاهدة ، وبأي وسيلة لترحيله . . . كانت اللعبة مكشوفة بالنسبة لي . . . تصور يا جميل . . . لقد كتبت كل شكوكي هذه في تقريري الذي رفضت فيه ترحيله قبل ان ينهي مدة العقوبة المحكوم بها في سجوننا . . . ولكن أحداً ، وبكل أسف لم يستجب . . . وأظن ان أحداً لم يفكر حتى بقراءة هذا التقرير . . .

دهش المفتش جميل عندما علم بوجود تقرير رفعه سليمان فقال معارضاً رأي العقيد :

ـ ولكن . . . ومهما كانت شكوكك قوية ما كان عليك ان تذكرها ضمن

تقريرك يا سليمان . . .

هز سليمان كتفيه بقلة اكتراث وأجاب :

ـ لكنني كتبت . . . ومع ذلك لم يكترث أحد لما كتبت . . . فقد كان مكانها سلة المهملات . ولكن المفتش جميل تابع حديثه يريد ان يعرف الدوافع لشكوك سليمان فقال :

ـ وهل كان لشكوكك سبب آخر غير ما أثارته في نفسك تصرفات رجال السفارة وتحركاتهم غير الطبيعية ؟؟ .

انفعل سليمان وقال بعصبية :

ـ نعم ، علمت وقتها ، وقبل الحملة التي طالبوا فيها بترحيله ، انه حاول الهرب من سجنه ، وإنه ضبط بالصدفة وحدها . . . وتوقعت بالطبع أن يعيد الكرة متى اصبح في بلاده . . . وقد صح ما توقعت . . . وها هو قد هرب فعلاً . . . وأطرق المفتش جميل لحظات يفكر فيما يريد أن يقول ، ثم رفع رأسه ليوجه كلامه الى سليمان :

ـ لو لم يكن الأمر خارج اختصاصي لكنت الى جوارك في هذه القضية . . . إني أتوقع صراعاً مريراً . . . فصاحبنا ستافرو لن يستسلم بسهولة ، وهو يعلم ، نتيجة لما سبق ، ما ينتظره اذا وقع في قبضة رجالنا هذه المرة أيضاً . . .

أجابه سليمان بأسىً ظاهر :

ـ أعرف يا جميل . . . ولكن ما العمل الآن . . . ألا ترى أنه يجب مهاجمة المنزل المجاور ، وإلقاء القبض على من نشتبه في أمره ؟ . .

عاد المفتش جميل الى إطراقه يتأمل ثم نظر الى العقيد قبل أن يقول له :

ـ لو أنني توليت التحقيق في هذه القضية ما فعلت ذلك أبداً . . . يكفي

أن احاصر المكان وأراقبه بدقة . . . أرى أن نترك الحبل على غاربه لهذا المجرم الحقير ، حتى اذا اطمأن ظهر . . . وهنا نهاجمه ونقبض عليه ومن معه . . . أما لو هاجمت المنزل الآن وقبضت على المشتبه بهم فلن يزيدوا أن يكونوا من أفراد عصابته ، ونحن نريد رأس الأفعى . . . وليس الذنب . . . نريد المخطط . . .

ظهرت الحيرة على وجه العقيد سليمان الذي أجاب بعد لحظات من التفكير :

ـ أتعني أن نترك كل شيء في مكانه بعد أن عثرنا عليه . . . أنت أدرى الناس بفداحة الخطر الذي أتعرض له لو تمكن المهربون من الحصول عليه . . . سيصبح موقفي حرجاً . . . ألا ترى معي أنها مخاطرة جسيمة ؟؟ . . .

ابتسم جميل وقال موضحاً :

ـ أنا لم أطلب ابقاء المخدرات في مكانها . .

تملكت الحيرة العقيد سليمان ، فبادره بالسؤال :

ـ ماذا طلبت اذن ؟ . . .

وبهدوئه المعهود ، أجاب المفتش :

ـ لا أريد أن أعرضك لموقف خطير كهذا ، وإن كنت متيقناً من انهم لن يستطيعوا استعادة مهرباتهم من بين أيدينا . . . ومع ذلك فأنا لا أراهن على إمكان الحفاظ عليها بأمان . . . لذلك خطرت لي فكرة ، على بساطتها ، فإنها تكفل لك الأمان . وتضمن لنا الاستمرار في لعبتنا . . .

وبلهفة ، سأله سليمان :

ـ وبماذا تفكر ؟ . . ما هي الخطة ؟ . .

وبهدوء لم يفارق المفتش جميل ، بدأ يشرح خطته فقال :

ـ سنستبدل أكياس المخدرات بأكياس سكر ناعم . وبذلك نكون قد وضعناها في مأمن ، فلا نخشى عليها من المفاجأة بشيء غير مستحب . . . وما أكثر المفاجآت في مهنتنا يا سليمان . . . عاد الهدوء الى العقيد سليمان ، فتهلل وجهه ، وعبر عن إعجابه بالمفتش قائلاً :

ـ يا لها من فكرة رائعة . . . سأنفذها على الفور . . . عبقري أنت يا أبا خالد !! وشرد العقيد بذهنه بعيداً ، وعلامة السرور بادية على محياه ، ثم قال مستدركاً :

ـ ولكننا نجهل الكمية الموجودة لنؤمن البديل عنها . . .

وبلا مبالاة ، هز المفتش جميل كتفيه وهو يقول :

ـ وهل تعتقد أنهم يحصونها كلما قاموا بزيارتها . . إجعل ما تضعه بالحفرة في حجم ما هو موجود الآن فيها . . . المهم هو الاتقان في العمل . . . والدقة في الاختيار . . . ولا تنسى أن تستقدم عدداً من المخبرين الأكفاء ، شرط ألّا يكونوا من مكتب المكافحة ، ليحيطوا بالمنزل ، من كل جانب . . .

استغرب سليمان هذا الطلب ، فتأمل المفتش بدهشة وقال :

ـ قلت مخبرين من غير رجال مكتب المكافحة ؟؟ . .

هز جميل رأسه بالايجاب ، وقال :

ـ نعم . . . تخيرهم من قطاعات غير مكتب المكافحة ، عناصر غير معروفة في هذا الحقل ، فكل مخبريك أصبحوا معروفين حق المعرفة لكل من يعمل بهذا المجال . . . خاصة إذا كانوا من أمثال ستافرو . . .

راقت الفكرة للعقيد سليمان ، فتهيأ للرحيل وهو يقول :

ـ سيحضر خبير المعمل الجنائي ، استقبله كصديق جاء لزيارتك فربما

كان المنزل مراقباً . . .

ضحك المفتش جميل وقال :

ـ بالطبع سأفعل كما تقول . . . وما جدوى أن أطلب منك المجيء متنكراً . . . علماً أنني استبعد مثل هذه الفكرة في قرارة نفسي . . . ولكن الحيطة والحذر من صفات رجل الأمن الناجح . . .

تابع سليمان تحذيره ، قبل أن يغادر المكان ، ولكنه قال بلهجة المتسائل :

ـ ألا ترى معي أن كثرة ترددكم على مكان الحفرة قد يلفت الأنظار ويعرض خطتنا للاخفاق ؟

عاودت الابتسامة وجه المفتش جميل وهو يقول مطمئناً زميله :

ـ لا عليك . . . دع هذا الأمر لي . . . سوف اختار الوقت المناسب لزيارة الحفرة . . . أتدري متى ؟ . . . عندما تحضر المخدرات المزيفة اعني السكر ، لاستبدالها بالمخدرات الحقيقية . . .

اطمأن العقيد لسلامة الخطة ولحسن تدبير المفتش العبقري ، ومد يده مصافحاً وقال وهو لا زال يضغط على يد جميل شاكراً :

ـ لا أدري كيف أشكرك يا جميل . . .

وبتواضع جم ، رد جميل على عبارة زميله قائلاً :

ـ تشكرني ؟ وعلى أي شيء ؟ . . . ألأنني أقوم بخدمة وطني وأكافح من يريد إفساد شبابنا ؟ وأساهم في الحفاظ على ثروتنا الوطنية ؟ ! أليس هذا واجبي وواجب كل مواطن ؟ فكيف برجل الأمن ؟؟؟

وقف «الشيخ» سليمان ، وعاد الى هيئته الأولى وقت حضوره ، فتناول عصاه ليتوكأ عليها ، ولبس نظارته السوداء ، وانحنى كهرم في التسعين ،

وحياهم جميعاً ، وسار يرافقه النقيب ماهر حتى الباب الخارجي ، وهناك صافحه وهو يقول بصوت مسموع ، كأنه يؤكد ما طلبه منه :

ـ لا تتأخر في الحضور . . . فالجميع بانتظارك . . . لا تنسى إحضار الحلوى معك لأننا سنقدمها في العرس . . .

كان سليمان يتحدث بصوت مرتعد متحشرج ، بصورة لا يمكن أن تتصور زيفها . . . وانصرف «الشيخ» أو العقيد سليمان ، وعاد ماهر ليتابع بحث التفاصيل الضرورية لإنجاح الخطة ، فانضم الى المفتش جميل ومن يجلس معه داخل المنزل .

مراقبة وتحرّ

انهمك كل فريق بعمله الموكل اليه ، ففي الوقت الذي كان المفتش يبحث في تفاصيل الخطة مع العقيد سليمان والنقيب ماهر ، كان خالد يوزع المهام على أفراد الفرقة ، فقد عمل على توزيعهم توزيعاً جيداً ، يكفل القيام بالمهمة على وجهها الأكمل ، فقد اختار لكل واحد مكانا يراقب منه جانباً من المنزل ، أو الطريق المؤدي الى الحفرة . . . وقد قام الجميع بالمهمة ، بعد حسن تخفيهم خير قيام ، وبدقة متناهية . . . وكانت ليلى غير بعيدة عن خالد فقطع حبل الصمت الذي يلف جميع أفراد الفرقة وقال لها بغتة وبصوت منخفض :

ـ ليلى . . . إن المنزل ليس خالياً كما كنا نظن . . .

ولم يترك الفرصة لجواب ليلى ، فقد تابع قائلاً :

ـ انظري الى تلك المدخنة الصغيرة . . . .

رفعت ليلى منظارها المكبر ، وقامت بجولة متأنية فاحصة على سطح المنزل المجاور وقالت :

ـ المدخنة ؟ . . . نعم ماذا بها ؟ . . . أنا لا أرى أي دخان ينبعث منها ؟ . . . كان خالد لا يزال يركز منظاره صوب المدخنة عندما أجابها :

ـ إنها ليست مدخنة مدفأة كما تظنين ، ولهذا لا ينبعث منها الدخان . . . إنها مدخنة لتصريف البخار المتصاعد من الطهو . . . انظري جيداً . . . أتلمحين الهواء المتخلخل فوقها والمشابه لسراب الصحراء ؟؟

ركزت انتباهها من جديد ، وتيقنت من صحة ما يقوله خالد فأجابته :

ـ معك حق . . . فعلاً ، هناك سراب يتراقص فوقها . . .

وهنا طلب منها خالد إبلغ المفتش قائلاً :

ـ إذهبي الى والدي وأخبريه . . . فربما حضر ليتأكد بنفسه . . .

سُرَّت ليلى لتكليفها بالمهمة ، ولكنها لم تنس أن تذهب حذرة ، فتسللت منحنية حتى بلغت الدرج ، عندها أسرعت بالنزول وهي تنادي المفتش الذي هبَّ يستطلع الخبر فالتفت ناحية الدرج ، وما إن التقى ناظراهما حتى بادرته بالقول :

ـ عمي . . . في المنزل المجاور سكان ، وإن بدت نوافذه وأبوابه مقفلة . . . وقبل أن تكمل كلامها بادرها بسؤ اله :

ـ وهل رأيتم أحدهم ؟ . . . ما هي أوصافه ؟ . . .

وبحركة من رأسها ، نفت ليلى رؤ ية أحدهم وهي تقول :

ـ كلا . . . لم نشاهد رجالاً ، إنما شاهدنا بخاراً ينبعث من مدخنة عادم الغاز المستعمل في الطهو فطلب مني خالد إبلاغك . .

فوراً ، اتجه المفتش ناحية الدرج وصعد الى السطح وهو يقول :

ـ سأصعد لألقي نظرة . . .

وعندما وصلوا ، نبهت ليلى المفتش قائلة :

ـ يا عمي ، احترس أن تظهر وأنت منتصب القامة هكذا ، اخفض رأسك حتى لا تظهر عليهم .

ابتسم المفتش من ملاحظة ليلى ، وانحنى كما طلبت منه ، وتسلل برفقتها الى مكان خالد الذي بادره بقوله :

ـ أصبح من المؤكد أن أحدهم أشعل موقد الغاز . .

أخذ المفتش المنظار ليتأكد بنفسه ، وفي اللحظة التي كان يبعد المنظار عن عينيه وصل ماهر ، فدفع اليه المنظار وقال :

ـ إلق نظرة يا ماهر . . .

جال ماهر بالمنظار فوق السطح ، ولما لمح المدخنة وما يخرج منها قال :

ـ صحيح . . . إن هواءً ساخناً ينبعث من المدخنة . . . .

طلب المفتش من ماهر أن يرافقه الى القاعة وهو يقول لخالد :

ـ خالد . . . استمر ومن معك بالمراقبة . . . نحن نازلان الى القاعة ، ولا تنسوا أن تخبرونا بأي جديد يطرأ . . .

ومن جديد ، انحنى كل من المفتش والنقيب وهما يتجهان نحو الدرج ، وما ان وصلا الى القاعة حتى التفت المفتش الى ماهر وقال له :

ـ ماهر . . . في نهاية الشارع الجانبي مكتب عقاري ، وهذا المكتب يتولى تأجير المنزل سنوياً نيابة عن أصحابه . . . إذهب اليه وتظاهر بأنك ترغب في استئجاره وانتبه جيداً الى ما سيقوله لك السمسار . . . مفهوم . . .

وبحركة آلية ، عبر النقيب ماهر عن إطاعته لأوامر رئيسه ، وقال :

ـ حالاً سيدي . . .

وقبل أن ينصرف ، نظر اليه المفتش ، والابتسامة لا تفارق شفتيه ، وقال :

ـ مهلاً يا ماهر . . . دعنا أولاً نقوم بعمل بعض الماكياج لوجهك الذي أصبح مألوفاً هنا . . .

طلب المفتش من زوجته إحضار بعض الحاجيات والثياب لماهر الذي غاب في إحدى غرف الفيلا ، ليظهر بعد قليل وقد ارتدى ثياباً خفيفة ، وغطى شعره بقبعة بيضاء ، شبيهة بما يلبسه عمال الأرمن ، استقرت على مقدم رأسه ، وحجب عينيه العسليتين بنظارة قاتمة تقيهما شعاع الشمس اللاهب ، فنظر إليه المفتش نظرة فاحصة متأملة ، ولما اطمأن الى حسن تنكره قال له :

ـ الآن يمكنك الذهاب وأنا مطمئن عليك . . . بهذا الهندام يصعب التعرف عليك بسهولة . . . ماهر . . . كن حذراً من هذا السمسار . . . فهو خبيث ماكر . . . وليس فوق مستوى الشبهات . . .

عندما همّ ماهر بالانصراف ، كانت أم خالد تنظر اليه وهي تقول مداعبة :

ـ لقد أعاده هذا التنكر شاباً يافعاً . . . يخيل الي أنه أصغر بعشر سنوات على الأقل . . .

جلس المفتش في مكانه وهو يقول كمن يتذكر ويقارن :

ـ إنها القضية الأولى في حياتي التي أتولاها من المنزل . . .

نظر اليه ماهر ، دون أن يعلق على كلامه ، وقال :

ـ سأعود حالاً سيدي . . .

غادر ماهر الفيلا مسرعاً ، فتنهدت السيدة سعاد وقالت بحزن عميق :

ـ يا له من حظ ؟؟ . . . تمنيت أن نقضي صيفنا كباقي خلق الله . . . ولكن يبدو أنّ أمنيتي لن تتحقق . . . هذا الصيف على الأقل !!!

وبحب وحنان ، نظر إليها زوجها وهو يحاول أن يزرع في نفسها الأمل ، وقال لها بعطف :

ـ ألم تعرفي بعد كل هذه السنوات أن رجل الأمن ، مثلي ، ترسم طريقه الحوادث فلا يعرف متى تنتظره قضية ؟ . . . وفي أي مكان ؟ . . . ومع كل هذا أعدك ، وأرجو أن أوفق لأبرّ بوعدي ، بأن كل شيء سينتهي في أقرب وقت ، وبنجاح إن شاء الله . . . . وبعدها نعود لنستمتع بإجازتنا مثل باقي خلق الله وكما تتمنين . . .

مناورة «سرور»

ضاق سرور ذرعاً ، وانتابه الملل وهو جامد في مكانه ، وقد اعتاد الحركة ، فكيف يقبع هادئاً قرب عصام كل هذا الوقت ؟ فقرر البحث عن فصيح ، بعد أن راودته فكرة الانتقام وكل واحد منهمك بعمل خاص ، فما أن شاهد فصيحاً هانئاً على غصن شجرة قريب حتى حاول اللحاق به ، لكن عصاماً تنبه له ونهره قائلاً :

ـ سرور . . . إبقَ في مكانك أو انزل الى البيت فوراً .

بغت سرور ، ولزم الصمت ولكنه أشاح بوجهه عن عصام ونظر ناحية خالد . أدرك عصام ما يدور في خلد سرور فقال له :

ـ سرور . . . إن شئت الذهاب الى هناك فلك ما تريد . . . إذهب وكن

حذراً . . . فلا ترفع هامتك حتى لا تظهر . . .

دون تردد انتقل سرور بسرعة الى حيث يجلس خالد الذي شعر بأنفاس زائره تتردد الى جواره ، فقال له وهو يتابع النظر خلال منظاره المكبر :

- سرور . . . لماذا لا تنزل لتؤنس وحدة ماما ؟ . . . خذ فصيحاً معك ، واهبطا اليها . . . أشار سرور الى الشجرة حيث استقر فصيح على أحد أغصانها وهو يصفر ، فلفت نظر خالد وجوده حيث أشار سرور ، فخاف أن تتكرر حركاتهما فينكشف أمرهم فقال مخاطباً ليلى :

- لقد هرب فصيح من سرور الى الشجرة . . . حاولي أن تناديه واهبطي معهما الى المنزل ، إن ماما تجلس منفردة ، وبعد قليل سيصبح الحرُّ قوياً ، ويستحيل السطح هنا الى جحيم . . .

لم تتردد ليلى بالنزول ، فنادت فصيحاً الذي أسرع اليها واستقر على كتفها وهو يقول :

- ليلى حبيبتي . . . خالد حبيبي . . .

قطعت ليلى عليه موّاله المألوف ، فأومأت اليه أن اسكت ، وقالت :

- وسرور حبيبك أيضاً . . .

أسقط في يد فصيح الذي أراد أن تبقى المعركة مستعرة بينهما ، وأدرك أن ليلى لا تريده أن يستمر بذلك فاضطر أن يكرر قولها ، فصاح :

- سرور حبيبي . . . سرور حبيبي . . .

قبلته ليلى وهي تقول :

- رائع يا فصيح . . . رائع . . . والآن . . . هيا بنا . . . هيا يا سرور . . . وبحذر شديد ، تسللت ليلى الى المنزل من جديد لتنضم الى السيدة سعاد .

بداية موفقة

جلس المفتش في الصالة يرتاح قليلاً ، وهو يفكر بالخطة وضمان سلامتها حين تناهى الى سمعه صوت بائع ينادي على بضائع جيدة ، أساور وعقود من الزجاج الملون . . . ولبث البائع قريباً من الباب الخارجي للفيلا وهو يرفع عقيرته بالنداء فقال المفتش في نفسه ، وهو يتجه نحو المدخل :

- اعتقد أن هذا البائع من رجالنا . . . سألقي نظرة . . . أسرع الى الحديقة متجهاً الى الباب الخارجي ، وما إن وقع نظره على البائع حتى عرفه ، انه الخبير ابراهيم ، من المعمل الجنائي . . . ناداه المفتش بصوت عالٍ :

- أيها البائع . . . أدخل فالسيدة ترغب في شراء بعض الهدايا للعروسة .

دخل الخبير ، وتبع المفتش الذي عاد أدراجه ، وما إن ولجا الدار حتى وضع ابراهيم بضاعته جانباً وقال للمفتش :

- كيف حالك سيدي المفتش ؟ . . . وقت طويل مضى على آخر اجتماع بيننا .

رحب به المفتش أجمل ترحيب قائلاً :

- أهلاً بك يا ابراهيم . . . هذا عائد للظروف . . . ها نحن اجتمعنا من جديد ، إجلس . . . جلس ابراهيم حيث اشار عليه المفتش ، وما ان استقر على مقعده حتى قال :

ـ ما الأمر يا سيدي ؟ . . . لم أعهد سيادة العقيد قلقاً الى هذا الحد من قبل . . . أوصاني بالتنكر جيداً ، حتى أنه لم يدعني أخرج حتى اطمأن بنفسه الى حسن تنكري . . . ما السبب يا سيادة المفتش ؟؟ . .

تساءل المفتش :

ـ أو لَم يخبرك بالمطلوب منك ؟؟

نفي ابراهيم علمه بالأمر وهو يهز رأسه ، وقال :

ـ كل ما طلبه مني هو الحضور الى هنا لمقابلتك سيدي . . .

أخبره المفتش جميل ، باختصار ، حقيقة ما حدث وقال له :

ـ بعد أن علمت بالأمر ، سننتهز فرصة مناسبة ونذهب معاً لرفع ما قد تجده من بصمات على أحد الأكياس ، وقد تجد آثاراً ترشدنا الى ما نريد . . . .

فكر ابراهيم قبل أن يجيب بقوله :

ـ أنسب وقت لذلك هو ساعة القيلولة . . . في مثل هذا الوقت تصبح الطرقات شبه خالية من المارة ، وهذه الساعة تغري من في المنزل بالنوم . . .

لم يوافق المفتش إبراهيم ، فقال له :

ـ لا يا ابراهيم . . . اعتقد أن الوقت المناسب هو الآن . . . ألم تفكر في احتمال ظهور صاحبنا في هذه اللحظة بالذات ، خاصة اذا كان يفكر مثل تفكيرك هذا . . . الأفضل أن نذهب فوراً . . .

وقبل أن يجيبه ابراهيم ، غادر المنزل وهبطا الى الحديقة ، تقدم المفتش بحذر وهو ينظر في جميع الاتجاهات يستكشف خلو المكان . . . ثم ، بحركة من يده طلب من ابراهيم أن يتقدم . . . وعند الحفرة ، توقف

المفتش ليقول :

ـ ها هي الحفرة أمامنا . . . فربما طمست بعض الآثار ، فقد سبقنا اليها فينو وسرور . . .

دهش ابراهيم من كلام المفتش وظنه يعبث ، وتساءل :

ـ فينو ؟ . . . ومن هو فينو ؟ . . .

ضحك المفتش وقال :

ـ فينو كلب ولدي خالد ، . . . وسرور قرده . . .

زالت الدهشة عن محيا ابراهيم ، فوضع حقيبته على الأرض وفتحها ليخرج منها عدسته المكبرة ، وانحنى يتفحص المكان ليتعرف الى الآثار الموجودة ، ثم قال وهو يتابع البحث :

ـ توجد آثار قوائم كلب . . .

حافظ المفتش على وقاره وقال :

ـ ألم أخبرك أن فينو زار المكان قبلنا وهو الذي كشف عن وجود الحفرة وما فيها ؟؟

كان ابراهيم ما زال يتابع البحث وفجأة رفع رأسه ليقول :

ـ لم يكن فينو وحده هو الذي زار المكان . . . هناك آثار قوائم كلبين لا كلب واحد . . .

بدت على وجه المفتش علامات الاهتمام بما يقوله الخبير ، فسأله بلهفة :

ـ كلبان . . . هل أنت متأكد يا ابراهيم ؟؟؟؟

أشار ابراهيم الى أثر قائمة كلب واضحة ، وقال بثقة «الخبير» :

ـ بالطبع يا سيدي . . . أنا متأكد من ذلك . . . هذه آثار كلبكم

فينو . . . وهذه آثار قائمة كلب أكبر منه ، والفرق واضح بينهما . . .

انحنى المفتش يحدق حيث أشار ابراهيم ، ونقل بصره بين الأثرين وقال :

ـ صحيح . . . واضح أن إحداهما أكبر من الأخرى . . .

وأكد إبراهيم بقوله شارحاً :

ـ طبيعي أن يظهر الفرق بينهما . . . إن كلب ولدك من نوع كلب الراعي «شيان لو» أما الآخر فهو من النوع الالزاسي الضخم . . .

ظهر الاهتمام جلياً على وجه المفتش الذي قال :

ـ انه نوع نادر في بلادنا . . . جوها حار نسبياً وهذا لا يلائمه . . .

قاطعه ابراهيم ليشرح وجهة نظره ويطرح مخاوفه بعد أن لمح آثاراً أخرى :

ـ ما تقوله بشأن المناخ صحيح ، أما إذا أحضر الى بلادنا وهو صغير فإنه يتأقلم ويعيش كغيره من الكلاب . . . ولكن هناك أمر لفت نظري . . . انظر . . .

اتسعت حدقتا المفتش وهو يحملق في الأثر الذي أشار اليه ابراهيم وهو يقول :

ـ ما هذا ؟ . . . أثر جديد ؟ . . .

تابع ابراهيم البحث باهتمام ، وقال وهو لا يزال ينظر اليه من خلال عدسته المكبرة :

ـ إنه أثر لقائمة الكلب الضخم . . . ولكن . . . لقد علق فيه بعض الأصداف الدقيقة . . . والخيوط الخضراء . . . أظنها اعشاباً بحرية عالقة بقدم الكلب . . .

تهلل وجه المفتش ، وبرقت عيناه ببريق خاطف ، وشرد بعيداً . . .

بعيداً ، وهو يقول :

ـ لقد فتحت هذه الآثار أمامنا آفاقاً جديدة . . . إن هذه المعلومات تذهب بي بعيداً . . .

رفع ابراهيم رأسه لينظر الى المفتش الشارد في البعيد ليسأل :

ـ معلومات ؟؟ أية معلومات يا سيدي . . . أهي خاصة بالكلب ؟؟ . . .

أجابه المفتش وكأنه يتحدث الى نفسه :

ـ نعم يا ابراهيم . . . الكلب الالزاسي . . . الاصداف الدقيقة . . . الأعشاب البحرية . . . عظيم يا ابراهيم . . . اسرع وارفع هذه الآثار جميعاً . . . فربما يكون فيها مفتاح الحل للقضية كلها . . .

كان واضحاً أن ابراهيم لم يفهم ما يعنيه المفتش بهذا الكلام ، فقد فغر فاه ، ونظر الى المفتش بدهشة ، ولكنه هز رأسه وعاد من جديد يعمل على رفع الآثار التي عثر عليها ، دون أن يفكر بما يقصده المفتش ، وعندما انتهى من مهمته ، عاد والمفتش الى المنزل من جديد ، وعلى الطريق ، التفت ابراهيم الى المفتش ، وقال :

ـ سأنهي كتابة التقرير وأضعه بين يديك فوراً . . . وإن كنت لا أزال أفكر كيف يكون الحل في آثار قوائم كلب . . . ؟؟

ابتسم المفتش وقال بغموض ظاهر ، كأنه يريد أن يقلع ابراهيم عن التفكير بالقضية :

ـ قلت ربما يا ابراهيم . . . ولم أجزم بعد . . . فـ «ربما» تعني الكثير . . . ولا تعني شيئاً . . .

حمل ابراهيم ما كان معه من أغراض ، وخرج ، وسار المفتش في

وداعه الى الباب الخارجي حيث أخذ ينادي على بضاعته من جديد ، . . .

عادالمفتش أدراجه الى المنزل واستقر على مقعده وهو غارق في بحر أفكاره العميق ، وهنا دخلت أم خالد التي أدهشها منظره ، فابتسمت وقالت :

ـ يا حضرة المفتش . . . بماذا تفكر ؟؟

وبدون تفكير أجابها على الفور :

ـ بالكلب . . .

دهشت السيدة سعاد من جديد ، وشهقت لتقول :

ـ الكلب ؟ . . . أهو فينو . . . ما شأنه ؟ . . . ما شأن الكلب فيما نحن فيه ؟ رفع رأسه واحتواها بنظراته الوادعة ، وابتسم قائلاً :

ـ ليس فينو . . . اطمئني . . . إنما ذلك الكلب الضخم . . .

وسكت قليلاً ليقول بعد برهة :

ـ قد يكون هو محور كل شيء . . .

لا داعي للمراقبة

فاجأت ليلى خالداً بعودتها مجدداً الى السطح ، فسألها بدهشة :

ـ ليلى . . . لماذا عدت ؟

تسللت بحذر ، حتى إذا استقرت الى جانبه أجابت :

ـ عدت لأقول لك أن لا فائدة ترجى من المراقبة . . . لماذا لا نصارح المفتش بهذا الرأي ؟ . . .

ابتسم خالد ، وتوجه الى ليلى بالسؤال :

ـ هل مللت المراقبة ؟ . . . إنها المرة الأولى التي أحس أنك تملين من مهمة تكلفين بها ؟ . . .

وبصراحتها المعهودة أجابته :

ـ لم أملّ . . . وتعرف أنني لا أملُّ ولو طالت المراقبة ردحاً من الزمن . . . ولكن ، عندما تكون المراقبة بلا أمل ، أو هكذا أتصورها ، فإنها تصبح مملة دون شك . . .

أراد خالد أن يجيب ليلى ، ولكن ظهور المفتش دون تحفظ أو محاولة التستر ، أدهشهما ، فهو لم يحاول الاختفاء اتقاء للعيون الفضولية ، وقبل أن يطرح أحدهما سؤالاً رآه في أعينهما ، قال المفتش :

ـ يكفي مراقبة يا أولاد . . .

اجتمع أفراد الفرقة حول المفتش ، والدهشة ظاهرة على وجوههم من هذا القرار المفاجىء . . . وفي محاولة للتمويه واخفاء السبب ، قال :

ـ لقد اشتدت الحرارة . . . فهيا بنا يا أولاد . . .

لم يستنكر أبطال الفرقة مناداة المفتش لهم بالأولاد . . . لأنهم يعرفون ثقته بهم ، ويعرفون أنه يناديهم هكذا تحبباً . . . وبعد قليل ، قال خالد لوالده :

ـ وهل تمنعنا شدة الحرارة ، وقوة اشعة الشمس من القيام بواجبنا ؟ . . . هل سَنُكفّ عن المراقبة ؟؟ . . ثق يا حضرة المفتش أننا نستطيع تحمل حرارة الشمس ومتابعة المراقبة . . .

أسقط في يد المفتش ، وعرف أن الحيلة لن تنطلي على هؤلاء الأذكياء ، فاتجه نحو سور السطح ، وبدون تحفظ ، نظر ناحية المنزل المجاور وهو يقول :

ـ لا حاجة لنا للمراقبة بعد الآن . . . فعدوُّنا لا يراقب . . .

نظر الجميع الى المفتش باستغراب ، وبدا عليهم انهم لم يفهموا قصده ، وتملكتهم الحيرة ، ولكن ليلى قطعت لحظة الصمت هذه بسؤالها :

ـ أتعني أننا سنتوقف عن المراقبة يا عمي ؟ . . .

هز رأسه بالإيجاب ، وأردف قائلاً :

ـ نعم . . . انتهت المراقبة . . . دعونا نترك هذا السطح الحار وننزل الى المنزل فوراً . . .

اتجه ناحية الدرج ، وتبعه الجميع ، والسكون يخيم عليهم جميعاً ، ولم تنتبه الأم إلاّ والمفتش يقف الى جانبها يحيط به أفراد الفرقة ، فقالت بدهشة :

ـ هل انتهت النوبة ؟ . . .

جلس المفتش جميل على أقرب مقعد ، وهو يقهقه ، وتحلق حوله جميع أفراد الفرقة يستطلعون السبب ، نظراتهم اليه تنم عن الرغبة في طرح سؤال مُلِح وأساسي ، وقبل أن يتفوه أحدهم بكلمة ، قرأ المفتش السؤال في أعينهم الحائرة النظرات ، وقال والابتسامة لا تفارق ثغره :

ـ أرى نظراتكم تحمل ألف سؤال وسؤال . . . ومع هذا لم اسمع أحدكم يتكلم ؟ . . .

هذه العبارة كانت الأداة التي حلت بها عقدة الألسنة التي ربطتها المفاجأة ، وساد هرج ومرج ، واختلطت أصواتهم ، وقف المفتش فجأة وأشار بيده أن توقفوا عن هذا اللغط ، لأن أحداً لا يسمع ما يقوله الآخر . . . وقال لهم مطمئناً :

ـ سأجيب كل فرد على سؤاله . . . ولكن دعونا نسمع ، وبهدوء ، قبل أي شيء . . .

ومخافة أن يعود اللغط من جديد ، صمم أن يبدأ هو اختيار من يريد التكلم ، فالتفت الى ليلى وقال :

ـ هل هناك مانع أن تبدأ ليلى بالكلام . . .

فرحت ليلى لاختياره لها ، وأجابت :

ـ ليس عندي سؤال محدد يا «حضرة المفتش» . . . كل ما في الأمر أني أود أن أعلم ، ويعلم معي الجميع ، أين وصلت . . بالقـ . .

ضحك المفتش قبل أن تكمل جملتها ، وقال مداعباً :

ـ وهل تركتكم أو غادرت المنزل لأصل الى أي مكان ؟ . .

سكتت ليلى ولم تُحر جواباً ، فأشار المفتش الى خالد الذي قال :

ـ أريد معرفة معنى كلامك بأن عدونا لا يراقب . .

وكعهد المفتش به ، كانت أسئلة خالد مركزة وعميقة ، وتطال كبد المسألة ، فنظر اليه المفتش نظرة إعجاب وإكبار وقال وهو لا يزال يحاول التكتم :

ـ إن المعنى واضح . . . فلو بقيتم في مكانكم ، تحت الشمس المحرقة ، تراقبون المنزل فلن تكتشفوا شيئاً . . .

لم يقنع الجواب أفراد الفرقة الذين تبادلوا النظرات الحائرة المستهجنة لهذه التعمية التي يمارسها المفتش معهم ، ولكن عصاماً قرر أن يسأل :

ـ كيف يا عمي ؟؟ أليس لهذه الموجودات صاحب ؟ . . . ألن يحضر لأخذها ؟ . . .

أجابه المفتش بهدوء واتزان :

ـ بالطبع لها صاحب ، وسيسعى ، دون شك ، ليأخذها أو ليضيف

عليها المزيد من هذه البضاعة . . . وفي الحالتين لن يحضر بنفسه . . . إنما سيرسل من اختاره لينوب عنه في هذا العمل . . .

قصد المفتش أن يتكلم ببطء وأن يشدد على بعض الكلمات ليكون معناها مفهوماً بالنسبة لأفراد الفرقة الأذكياء ، فأطرق كل منهم الى الأرض يفكر ، فيما اعتدلت الأم في جلستها ، وكانت تصغي للموضوع باهتمام بالغ ، وسألت زوجها :

ـ سواء حضر صاحبها أو من ينوب عنه ، ألا يهمك القبض على من يحضر منهما ؟

ابتسم المفتش وهو يهز رأسه بالنفي ويقول :

ـ لا يا أم خالد . . . إني أسعى للقبض على رأس الأفعى لا على ذنبها . . .

وقطع الحديث ، وكذلك هذا السيل من أسئلتهم المحرجة ، بعض الأحيان ، والتي كان المفتش بارعاً في الالتفاف حولها ، دخول النقيب ماهر المفاجىء ، فالتفت اليه المفتش وبادره بالسؤال :

ـ وجدته مؤجراً . . . أليس كذلك ؟

جلس النقيب ماهر ليرتاح من عناء المشوار ، وقال :

ـ نعم . . . منذ أسبوع استأجره ثلاثة مصطافين لمدة ثلاثة أشهر فقط . . .

وباهتمام بالغ ، سأله المفتش :

ـ وهل عرفت أسماءهم ؟؟ . . .

وبنفس الاهتمام ، أخرج ماهر من جيبه ورقة دوَّن عليها خلسة ، وفي غفلة من الدلال ، أسماء الثلاثة ، وأخذ يقرأ :

ـ لا شك أنهم الثلاثة الذين شاهدهم عصام ، فهو على حق . . . ولكن . . . ترى هل يملك أحدهم كلباً ؟ . . .

ـ عثمان أبو النصر . . . فايز الألفي . . . جورج حنا وهذا الأخير هو أقصرهم قامة ، فقد صادف مروره أثناء وجودي ، وناداه الدلال باسمه . . .

كان المفتش يهز رأسه وعلامات التفكير بادية على محياه ، وهو يسمع أسماء أفراد العصابة ، وقال كمن يتذكر :

ابتسم النقيب ماهر ، وأجاب المفتش قائلاً :

ـ لم أتمكن من معرفة هذا الأمر . . . خشيت أن أثير الشبهة عند الدلال فيما لو أكثرت من طرح الأسئلة . . . وهو كما وصفته لي : إنسان غير مريح ، ماكر ، خبيث لا يؤمن جانبه . . .

ـ سيشرفنا جيراننا مدة طويلة ، اذن ، ثلاثة أشهر ؟؟ . . أشك في هذا الأمر ، . . من يدري ؟ . . . قد يتقرر رحيلهم في أية لحظة . . .

استولت الحيرة على جميع الموجودين ، بمن فيهم النقيب ماهر الذي أبهم عليه معنى كلام المفتش ، أدرك المفتش مدى الحيرة والقلق من نظراتهم ، فقال يريد تغيير الموقف ، والمرح والسرور يغلفان عبارته :

ـ ما رأيك يا سعاد بالذهاب الى الشاطىء . . . أعني هل ترغبون في تناول الطعام هناك . .

أجابته على الفور ، وهي التي تنتظر انتهاء الأزمة الطارئة :

ـ يا لها من فكرة رائعة . . . وهل تحتاج لمشورة ؟ . . .

لم تطق الانتظار ، فقامت على الفور تريد الاستعداد لهذه الرحلة المنتظرة ، وهي تدعو الأولاد لمرافقتها :

ـ هيا يا أولاد . . . ساعدوني في تحضير ونقل ما نحتاج اليه . .

خلت القاعة من أفراد الفرقة الذين تركوا المفتش يكمل حديثه مع النقيب ماهر ، كانت الدهشة لا تزال مسيطرة على ماهر من هذه التحولات

المفاجئة والغامضة ، ولأنه لا يعرف مـاذا يدور في رأس المفتش ، بقي صامتاً ، فأتاح بذلك الفرصة أمام المفتش ليقول :

ـ إن ضالتنا هناك ياماهر . . . لا بد أن نعثر عليه في مكان ما . . . هناك . . .

وقبل أن يعلق ماهر على عبارة رئيسه ، اتجه المفتش نحو الهاتف ورفع السماعة يريد اجراء مخابرة . . . وبعد قليل جاءه الرد فأجاب :

ـ آلو . . . سليمان ؟ . . . هل تتفضل وتقبل دعوتنا على الغداء ؟ . . . نعم . . . ولكن ليس في البيت كما تظن . . . على الشاطىء طبعاً . . .

وسكت المفتش وأفسح المجال للعقيد سليمان كي يقـول ما عنـده ، وكانت تصدر عنه بين الفينة والفينة ضحكة خفيفة ، وماهـر ينظر اليـه ، وأخيراً سمعه يقول :

ـ إنه «غداء عمل» كما يقولون . . . بالطبع . . . يجب تغيير هذا التنكر بشيء يتلاءم مع الشاطىء . . . وهل يصح أن يقصد الشاطىء هرم في مثل سنك ؟ . . . ماذا ؟ . . . لا يا سليمان . . . إنك تتعجل الأمـور . . . . ستعرف كل شيء عندما تحضر ! لا تتأخر . . . هه ؟؟

أعاد السماعة الى مكانها ، ولا زالت الابتسامة مرتسمة على شفتيه ، وقال :

ـ كاد يجن وهو يسألني اذا كان سيحتفظ بزي الشيخ الهرم كما حضر الى هنا في الصباح . . .

كان ماهر يبتسم وهو يسمع ما يدور بينهما على الهاتف واستنتج ما دار بينهما حول هذه النقطة ، لكنه لم يتمكن من معرفة الأمور الأخرى ، فسأل المفتش :

ـ سيادتك تخفي عني أمراً . . .

لم يشأ المفتش الافصاح عما يدور في خلده ، واستمر في الاجابة بغموض :

ـ أي أمر تعني ؟ . . . ألأننا نريد الذهاب لتناول الغداء على الشاطىء تعتبر هذا دليلاً على أنني أخفي عنك أمراً ؟ . . .

لم تنطل الحيلة على النقيب ، فابتسم وقال مذكراً المفتش :

ـ سيدي المفتش ؟ . . . ما أنا إلّا أحد تلاميذك !! . .

ابتسم المفتش من إشارة ماهر هذه ، ولكن بلهجة أبوية وبعطف قال :

ـ لا تتعجل الأمور يا ماهر . . . فكر ملياً . . .

وهب المفتش واقفاً ، يتحسس وسطه ليتأكد من وجود مسدسه ، وسأل النقيب :

ـ هل تحمل مسدسك معك ؟ . . .

وبحركة آلية ، ارتفعت يد ماهر اليمنى الى وسطه حيث تأكد من وجود مسدسه هو الآخر وقال بلهجة تنم عن ثقته بنفسه .

ـ وهـل تراه يفـارقني لحظة ؟ . . . ولكن لمـاذا السؤال ؟ . . . هل سنتناول طعامنا تحت تهديد المسدسات ؟ . . .

لم يشأ المفتش أن يجيب ماهراً ، فاتجه الى غرفة مكتبه وهو يقول :

ـ من يدري . . . قد يكون الأمر كما تقول ؟ . . . لحظة حتى أحضر مسدسي . . .

غاب المفتش في غرفته لحظة ، تاركاً ماهراً وحيداً ، يفكر فيما عسى أن يكون الأمر الذي لم يعرفه . . . وعديد من الأسئلة تتزاحم في رأسه ، ولكن أكثرها إلحاحاً كان ما تفوه به .

ـ من يدري . . . أكيد أن المفتش قد توصل الى معرفة شيء . . . ما هو يا ترى ؟ . . . ما سبب هذه الحفلة على الشاطىء . . . إن في الأمر سراً لا محالة ؟ . . .

غداء على شاطىء البحر

حمل كل منهم بعض الحاجيات ، وتوجهوا الى الشاطىء يسبقهم المفتش ، وابتعد عن السابحين ليختار مكاناً يناسب ما يرمي اليه . . . متفادياً الضجيج والازدحام ، وقال :

ـ ما رأيكم ؟ . . . أليس المكان مناسباً ؟ . .

أجابته زوجته التي كانت تسير بقربه ، كأنها ظله ، قائلة :

ـ مناسب جداً . . . وهل نناقش فيما تختار . . . إنه الأفضل دائماً . . .

وضحكت كأنما تريد أن تفهمه شيئاً ، فابتسم هو الآخر لأنه عرف أنها تقصد نفسها . . . ولكن سعاد نادت الأولاد قائلة :

ـ هيا يا أولاد . . . حطوا رحالكم هنا . . .

وصلوا تباعاً وأخذوا يضعون ما يحملون . . . ثم أسرعوا وبتعاون تام وتنسيق كامل يعدون المكان ، فنصبوا الخيمة ، ! وأعدوا المظلات الثلاث . . . بينما انكبت السيدة سعاد ، تعاونها ليلى ، على تحضير الطعام . . . غير بعيد عنهم ، جلس المفتش جميل والنقيب ماهر تحت المظلة الأخيرة ، وتلفت يستطلع ما حوله ، واستغل فرصة تشاغل أفراد الفرقة عنهما ، ليهمس في أذن النقيب ماهر بما يلي :

ـ ماهر . . . انظر الى هناك . . .

نظر ماهر الى حيث يشير المفتش ، وسأله باستغراب :

ـ أتعني تلك الجزيرة الصخرية البعيدة ؟؟

أومأ المفتش برأسه علامة الإيجاب ، وقال وهو لا يزال يفكر . . .

ـ نعم . . . إنها ما أعني . . .

اشتدت دهشة ماهر وعاد ليسأل رئيسه :

ـ وماذا تريد منها ؟ إنها ، كما أعلم جزيرة جرداء ، صخورها ناتئة ، حفرت فيها مياه البحر أخاديد عميقة ، فحولت صفحتها الى ما يشبه السكاكين أو الزجاج المكسور المزروع في الطين ، مما جعل السير على سطحها محفوفاً بالخطر . . .

ابتسم المفتش ابتسامة غامضة . . . وتابع دون أن يشيح عنها بناظريه . . .

ـ ومع ذلك ، فالكثيرون يتسابقون اليها ، لا فرق بين هواة السباحة للمسافات الطويلة ، وبين المغامرين من هواة الصيد . . .

أراد ماهر أن يعبر عن موافقته لما يقوله رئيسه ، فقال :

ـ اعتقد أن الصيد وفير حولها . . . خاصة انها بعيدة نسبياً عن الشاطىء . . .

هنا دخل المفتش في صلب الموضوع ، فلمح الى ما يريد قوله ، أو ما كان يريد من ماهر أن يفهمه ، فقال :

ـ نعم . . . والصيد ، حولها ، ألوان وأشكال . . .

أبرقت عينا ماهر ببريق خاطف ، ولمعت في رأسه فكرة أراد أن يتأكد من صحتها ، فسأل المفتش وهو يبتسم ابتسامة معينة :

ـ يحوم سيدي حول هدف معين ؟؟ . .

أطرق المفتش لحظة ثم قال :

ـ هذا صحيح . . . أصبت الحقيقة يا ماهر . . . من هناك تتسرب بضاعة «أصحابنا» . .

كانت الدهشة واضحة في عيني ماهر اللتين اتسعتا وهو يحملق في وجه المفتش ، وينتقل بهما صوب الجزيرة ، فاغراً فاه ، وعاد ليتساءل مستنكراً :

ـ ماذا ؟ . . المخدرات تأتي من هناك ؟ . . .

وانكفأ الى الوراء كمن أسقط في يده ، وقال بيأس واستسلام :

ـ أقسم أنني لا أفهم شيئاً ؟ . . .

وضحك المفتش الداهية ، وقال محاولاً مواساة النقيب :

ـ لك العذر في عدم فهمك لما يجري . . . أنا بدوري لم أكن أفهم شيئاً حتى خطرت لي فكرة اهتديت من خلالها ، وبعد جمع المعلومات وتحليلها ، الى معرفة الطريقة الجهنمية التي يتبعها هؤلاء المهربين . . الشياطين . . .

أثار حديث المفتش فضول النقيب ، فهو يسمع بوضوح لأول مرة عن طريقة المهربين ، فسأل المفتش مزيداً من الشرح والتفصيل ، فقال بلهفة :

ـ أرجوك سيدي المفتش . . زدني معرفة بأساليب هؤلاء الماكرين . . . في بعض الأحيان لا أستطيع التفكير في شيء ، أحس أن مخي أقفل جميع منافذ التفكير ، . . . أو أصيب بالشلل . . .

لم يستطع المفتش ، حيال هذا الموقف ، أن يتغلب على الضحك حتى أنه قهقه بصوت مرتفع أثار انتباه جميع أفراد الفرقة ، فتركوا أعمالهم ليتحلقوا حولهما ولكن فرحهم لم يتم ، إذ قبل أن يرد المفتش على كلام النقيب ، هتفت بهما السيدة سعاد ، تدعوهما لتناول الطعام قائلة :

ـ تفضلا . . .

نهض المفتش جميل بهمة ونشاط ، وقال لماهر :

ـ دعنا نتناول طعامنا أولاً . . .

وحول مائدة بسطت على الرمال ، جلسوا جميعاً ، وقبل تناول الطعام نظر المفتش الى ساعة يده ليقول :

ـ ألا ننتظر بضع دقائق ريثما يحضر العقيد سليمان .

وقبل أن ينهي كلامه ، زال مبرر هذا الطلب عند سماع صوت المفتش سليمان يعلن عن وصوله قائلاً :

ـ السلام عليكم . . . يبدو أنني وصلت في الوقت المناسب . . . «فحماتي تحبني» ، كما يقولون . . . همّ المفتش بالوقوف لاستقبال ضيفه الذي لم يتح له الفرصة لأنه وضع يده على كتفه ليبقيه جالساً وجلس هو الآخر الى جانبه ، وقال بمرح :

ـ حظي كبير . . . لقد وصلت قبل أن تمتد أيديكم للطعام . . . وهل يصح منكم أن تبدأوا قبل وصولي ، أنا الذي امتنعت عن الأكل حتى اتمتع بطعام السيدة سعاد الشهي ؟ . . .

ابتسم المفتش وهو يسمع كلمات الإطراء يوجهها زميله سليمان الى زوجته ، ويبدو أن أم خالد أرادت توضيح الأمر ، فلم تنسب الفضل لنفسها إذ قالت :

ـ ستتمتعون اليوم بطعام لم تتذوقوا مثله من قبل . . . إن ليلى هي التي قامت بإعداد الكثير من أصنافه . . .

اتجهت انظار الجميع الى ليلى لترى وجهها قد اصطبغ بلون تنافسه حمرة الورد ، وانهالت عليها عبارات الاعجاب التي استمرت ، متقطعة ، ومن جميع الحاضرين ، طيلة تناول الغداء ، تكيل المديح والثناء على

براعة ليلى بتحضير وجبة الطعـام اللذيذة . . . وهذا ما أضفى جواً ساده المرح والحبور ساعد الجميع على التهام ما أمامهم بشهية . كان أول من أقلع عن الأكل العقيد سليمان ، فوضع يديه على بطنـه يتحسس معدتـه قائلاً :

ـ يا إلهي . . . لم يبق بها مكان حتى لشربة ماء . . .

نهض العقيد ، فتبعه المفتش جميل ولحق بهما النقيب ماهر ليجلسوا تحت المظلة الأخيرة ، لبعدها عن مسرح أفراد الفرقة . . . وأخذوا بمراقبة الأولاد وهم يتهامسون بحديث غير مسموع أثار فضول ليلى فاقتـربت من خالد لتقول له هامسة هي الأخرى :

ـ خالد ؟ . . بماذا تراهم يتحدثون ؟

ضحك خالد من الطريقة التي اتبعتها ليلى في حديثها وقال :

ـ هل اصابتك العدوى ؟ . . . ولماذا تهمسين أنت أيضاً ؟

كانت ليلى لا تزال تنظر الى نزلاء المظلة البعيدة ، ودون أن تعير تهكم خالد انتباهها ، قالو وعلامات السرور بادية على وجهها :

ـ ألم تلاحظ حبور عمي وصفاء ذهنه ؟ . . . أكاد أجزم أنه توصل لنتائج هامة في القضية ؟ . . .

تأمل خالد وجه ليلى برهة وقال وهو يهز رأسه باعجاب :

ـ أمران لا يختلف فيهما اثنان : شدة ملاحظتك ، وحدة ذكائك . . .

أجابته بهدوء ، دون أن تلتفت لمديحه :

ـ دعنا الآن من المديـح والمجامـلات . . . ترى مـا سر تبـدل عمي المفاجىء . . .

لم أره منذ الصباح على هذه الصورة . . .

ابتسم خالد ، وقال محاولاً صرف ليلى عن الاهتمام بما يحدث :

ـ أليس غريباً أن يثيـر فينا مـرحه وحبوره كل هـذا الفضول لمعـرفة الأسباب ؟؟ . .

انتهى الجميـع من تناول طعـامهم ، وأعادوا تجميـع ما استعملوه من أدوات ، تسودهم روح التعاون والمحبة والاحترام ، حتى اذا أنهوا مهمتهم انصرف كل منهم للقيـام بما يـريد . . . منهم من قصـد الماء ومنهم من استلقى تحت مظلة يأخذ قسطاً من الراحة . . . الى غير ذلك من ممارسة الهوايات المفيدة . . .

الصياد المجهول

على امتـداد الشاطىء الـرملي الجميـل ، ازدحم النـاس يمـارسـون هواياتهم الصيفية المحببة ، من السباحة ، الى الركض على الرمال أو لعب الكرة في الماء أو على الشـاطىء ، وكذلـك كرة المضـرب . . . الى ما هنالك من ألعاب ، وقد يطيب لبعضهم الاسترخـاء تحت أشعة الشمس ليكتسبوا لوناً برونزياً جميلاً . . . أما المفتش والعقيد سليمان والنقيب ماهر فقـد كانـوا يمارسـون مهمتهم وهم يشربـون القهوة ويتجـاذبون أطـراف الحديث . . . فيما كانت السيدة سعاد تجلس بهدوء ، تـطرز قطعـة من الحرير ، فكان عملها ينم عن ذوق رفيع وخبرة عالية في مثل هذه الأعمال الفنية التراثية . . . واستغرق المرح وقتاً طويلاً لم ينتبه له الجميع ، فقد مـالت الشمس نحو الغـروب . . . وفجـأة ، اعتـدل المفتش جميـل في جلسته ، ونظر باهتمام شديد الى رجل ظهر حاملاً في يده حقيبة متوسطة الحجم ، وتدلى من كتفه قفص من «الخوص» لصيد السمك ، بينما حمل

في يده اليسرى قصبات للصيد . . . وغير بعيد عنهم ، وضع الرجل الحقيبة على الشاطىء ، وكذلك ما يحمله من أدوات ، وأخرج منها قارباً مطاطياً ومحركاً صغيراً . . . حضَّر ما يلزمه بمهارة فائقة ، وكان عمله ينم عن خبرة ودراية في مثل هذه الأعمال ، مما يدل أنه متمرس فيها . وبعد لحظات انتبه الجميع الى صوت المحرك يهدر وهو ينقل صاحبه في عرض البحر باتجاه الجزيرة المرجانية البعيدة . . . وانطلقت أثره صفارة رجل خفر السواحل التي جعلته يدور حول نفسه ليعود أدراجه الى الشاطىء وتبادل الرجل مع الخفير حديثاً قصيراً ، أخرج على أثره بعض الأوراق وعرضها عليه ليتأكد من صحتها . . . ثم . . . أعادها الخفير لصاحبها وذهب كل منهما ليقوم بمهمته . . . تمَّ هذا ورجال الأمن الثلاثة يراقبون ما يجري دون تدخل ، ولكن المفتش جميل أراد التعليق على ما حدث فقال :

- إنني أشك في سلامة هذه الأوراق . . . كما وإني على استعداد للرهان على أي شيء بأنها كلها مزورة ؟ . . .

بغت العقيد سليمان ، فقام يريد التوجه نحو الخفير ، وعلامات الغيظ ظاهرة على وجهه ، وقال غاضباً ، مشيراً الى الخفير :

- وهذا الغبي ؟ . . ألم يتنبه لها ؟ . . .

وبحركة آلية ، امتدت يد المفتش جميل جاذبة ساعد العقيد سليمان في محاولة لمنعه من تنفيذ ما ينوي عمله ، قائلاً :

- لا تتعجل يا سليمان . . . أمامنا متسع من الوقت لنفعل ما نريد . . . دعنا الآن نقوم بمراقبة ما يجري دون تدخل . . . وأظن أن هذا يكفي . . .

استغرب العقيد سليمان عمل المفتش وقال :

- ندعه يمرح بأوراقه المزورة دون أن نقبض عليه ونخضعه

للتحقيق . . . فنعرف من يكون ؟ وكيف حصل على هذه الأوراق ؟

كانت كلمات سليمان تنم عن قلق بالغ ، فيما كان المفتش جميل يتابع باهتمام مراقبة الزورق وهو يقترب من الجزيرة ، ولم ينس أن يجيب زميله قائلاً :

- سنقوم بكل ما ذكرته . . . ولكن المهم . . . فالأهم . . . أليس كذلك يا سليمان ؟

بدا أن سليمان لم يميز بين المهم والأهم ، لكنه امتثل لرأي المفتش جميل ، وقال تتملكه الحيرة :

- ولكن . . . من يكون هذا الرجل ؟ هل تعرفه قبل الآن يا جميل ؟؟ . . .

وبحركة من رأسه نفى المفتش جميل معرفته بالرجل ثم أردف قائلاً :

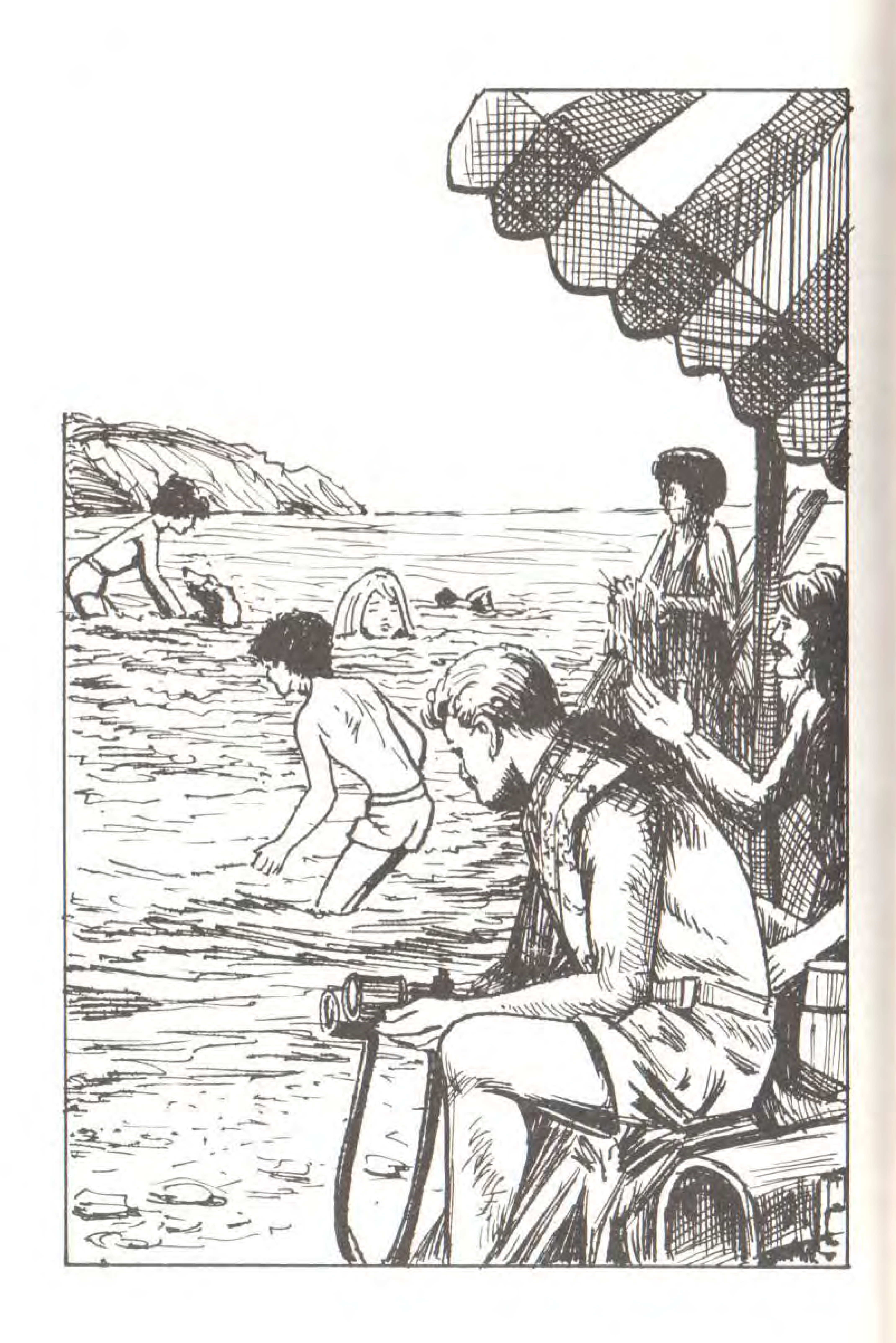
- لا أظن أنني أعرفه . . . فقد رأيته عن بعد ولا يمكن الجزم بمعرفته. . . على أي حال، سنعرفه ونعرف الدور الذي رسم له، بعد قليل، كما أتوقع . . .

احتار العقيد سليمان من إجابات المفتش جميل التي يغلفها الغموض وإن بدا أن جميلاً يخفي أمراً عنهما . . . وهذا ليس مستبعداً ، فقد تجمعت لديه وحده جميع خيوط القضية . . . هنا عاد سليمان يسأل ، بعد لحظة تفكير . . .

- أتعني أنك كنت تنتظر حضوره ؟ . .

أجابه المفتش جميل بهدوء :

- لم أكن متأكداً من حضوره وإن كان يراودني إحساس خفي عن احتمال ظهوره ، هو أو سواه . . .



لم ينته المفتش من كلامه إلا وكانت يده اليمنى ترفع الى عينيه منظاره المكبر ، ليصوبه نحو الجزيرة ، وحذا العقيد سليمان والنقيب ماهر حذوه ، وراح كل منهم يراقب ما يجري في البعيد ، . . . وبعد برهة قال ماهر :

ـ لقد وصل صاحبنا وهو يرفع الزورق من الماء . . .

عقب المفتش جميل ، وهو ما يزال يراقب من خلال منظاره على كلام ماهر ، بالقول :

ـ إن صيد الليل وفير . . . ويبدو أن الرجل من هواة هذا الضرب من الصيد ، ألا ترى رأيي يا حضرة العقيد . . .

ولم تمض بضع دقائق حتى شاهدوه ينير مصباحاً قوياً ، ليتغلب بواسطته على سواد الليل الذي بدأ يزحف ببطء . . . فقال ماهر :

ـ يبدو أنه استعد لكل شيء . . .

استبدت الحيرة بماهر وهو ينظر الى المصباح الساطع النور من بعيد ، فقال متسائلاً والدهشة بادية على وجهه :

ـ ما يحيرني هو استعماله لهذا المصباح الذي يبعث نوراً باهراً إذا كان مشتركاً في القيام بعمل غير قانوني ؟؟

تدخل سليمان ، وهو الخبير بالصيد ومستلزماته وأصوله ، فقال لماهر :

ـ إن تصرفه طبيعي ، . . ولو فعل غير هذا لكان أثر الشك من حوله . . .

كان ماهر يحب معرفة ما يدور حوله ، ولم يكن يخجل من طرح سؤال يفتح أمامه آفاقاً من المعرفة ، فهو يريد أن يكسب الخبرة والعلم ، لهذا لم يتوقف عن طرح الأسئلة ، فقال :

- بصراحة . . . لم أفهم يا سيدي . . .

وبعطف الأب وإعجاب المسؤول بمرؤوسيه وإرضاء ماهر في اكتساب المعلومات الصحيحة ، لم يبخل سليمان بإعطاء الجواب وشرح الموقف ، فقال مبتسماً وقد حاول أن يثير في نفس ماهر حب الاستطلاع وتحليل ما يجري بنفسه ودون مساعدة أحد .

- لم تفهم ؟ . . . هذا طبيعي ، فلست من هواة الصيد . . . انظر ، الى عرض البحر . . . وقل لي رأيك بوجود هذه الأضواء المنتشرة على صفحة الماء كالنجوم في كبد السماء في ليلة صيفية غاب قمرها ؟؟

أجال ماهر نظره في جوانب مختلفة من البحر . . . وبعد لحظة استكشف خلالها ما أراد ، قال :

- لا شك أنها قوارب صيد . . . أليس كذلك ؟ . . .

هز سليمان رأسه ، وبينما استمر بمراقبة الجزيرة ، استغل هذه الفرصة ليظهر أمام ماهر مدى معرفته بالصيد وأنواعه ومواسم السمك فقال :

- صحيح . . . إنها قوارب الصيادين الذين ينتشرون في هذا الشهر من السنة لاصطياد سمك «الميَّاس» الذي لا يقرب الطعم إلا في الضوء . . لذلك يتزود كل صياد بمصباح ساطع النور كما ترى . . .

أراد سليمان أن يتابع حديثه ، لكن حضور السيدة سعاد نبَّه الجميع لمرور الوقت ، ولمحوا وراءها بقية أفراد الفرقة وهم يتهيأون للرحيل ، فقال المفتش جميل :

- ماذا ؟ . . . أراكم تنصرفون ؟ . . .

أشارت بيدها الى السماء ، وقالت له :

- لقد حل الظلام . . . وحان وقت الانصراف . . . ألن تعودوا معنا ؟ . . .

كانت السيدة سعاد ، وكذلك أفراد الفرقة بعيدين عما يجري ، ولم يرد المفتش لفت نظرها ونظر باقي أفراد الفرقة ، الذين كانت نفوسهم منشغلة بما يهمس به هؤلاء الكبار بعيداً عنهم ، وإن بدا عليهم انهماكهم الكلي في تمضية الوقت باللعب والمرح والتسلية ، وفي محاولة لتفادي إطالة أمد الانتظار ، نظر جميل الى زوجته وهو يقول :

- سنلحق بكم فيما بعد . . . . يمكنكم حمل كل شيء معكم . . بما في ذلك هذه المظلة ، فلا حاجة لنا بها بعد الآن . . .

تقدم خالد نحو المفتش لينزع المظلة من مكانها ، فلحقت به ليلى مسرعة لتهمس في أذنه :

- أرأيت ؟ . . . كنت متأكدة أن هذه الدعوة لم تكن خالصة لتناول الطعام والاستمتاع بقضاء يوم على الشاطىء . . .

لم تكمل حديثها ، لأنهما وصلا الى مكان جلوس «الكبار» فانكب خالد من فوره على المظلة ليخلعها من مكانها ، وهو ينظر الى والده نظرات كلها دهشة ، كأنما يخفي كلاماً يريد أن ينطق به فلمح المفتش نظرات خالد المستفسرة فناداه ليقول له بحنان :

- تقدم يا خالد . . . بماذا تفكر ؟؟ إن عينيك تفضحانك . . . إنني أقرأ فيهما سيلاً من الأسئلة التي لا تنتهي . . . أليس هذا صحيحاً ؟ . . .

اعتاد خالد الصدق في كلامه ، فلم يحاول إخفاء ما يدور في خلده عن والده ، فأجابه باحترام :

- نعم يا أبي . . .

كان المفتش على حق فيما ذهب اليه ، فتابع كلامه من جديد قائلاً :

- وبدون شك . . . تود لو أفرغت هذه الأسئلة دفعة واحدة وسمعت

الإجابة على كل منها . . . على الفور . . . أليس كذلك ؟

وبحركة من رأسه أومأ خالد أن : نعم ، فتابع المفتش حديثه قائلاً :

ـ سأكتفي الآن بالقول : إن القضية قد تشهد نهايتها هذه الليلة على أبعد تقدير ، وقد تستمر بعض الوقت إذا كان تقديري خاطئاً . . .

قال المفتش هذا الكلام بصوت مرتفع نسبياً ، كأنما يقصد إسماع بقية الموجودين ، وإن كان كلامه موجهاً أساساً الى خالد ، وهذا ما دفع العقيد سليمان كي يشارك في الحوار ، فقال بدهشة متسائلاً :

ـ ماذا ؟ . . . أتخفي عنا ما تفكر به يا حضرة المفتش ؟ . . .

قاطع المفتش جميل زميله سليمان وهو يحاول تهدئة خاطره ، ويبعد الشك عن نفسه ، فقال والابتسامة لا تفارق ثغره .

ـ لم أقصد إخفاء شيء يا سليمان . . إنها مجرد خواطر وتحليلات محض شخصية ، لم أشأ أن أشغل تفكيركم بها . . . على كل حال سوف أصارحكم بكل شيء عندما أتأكد أنني أسير في الطريق السليم ، . . . ولا أخفي عنكم أنني بانتظار ما يثبت ذلك ، عندها سوف أضع بين يديك يا سليمان كل ما توفر لدي من معلومات . . . فأنا لم أنس لحظة أن القضية قضيتك ، ومن صميم اختصاصك . . .

ثار في نفس ماهر سؤال لم يطق الاحتفاظ به دون الحصول على جواب ، فقال :

ـ وكيف تتأكد من ذلك يا حضرة المفتش ؟ . . .

ضحك سليمان الذي أعلن الموافقة على تصرف زميله المفتش جميل ، وقال بمرح وتحبب :

ـ ومتى تكلم أبو الهول يا ولدي ؟ . . . دعه حتى يكشف لنا ما يخفيه . . .

أجابهما المفتش جميل بحزم ، وبلهجة الواثق من نفسه :

ـ أنا بانتظار وصول الكلب !! .

غابت الابتسامة عن وجوه الحاضرين وكان لعبارة جميل وقع الصاعقة ، وحملت معها الدهشة والحيرة التي ظهرت علاماتها على محياهم جميعاً ، وكان أشدهم استغراباً العقيد سليمان الذي سأل بلهفة :

ـ الكلب ؟ . . وأي كلب ؟؟ . . .

وبهدوء تام ، أجابه المفتش جميل :

ـ الكلب الذي ترك آثار قوائمه عند الحفرة يا سليمان . . . إن هذا الكلب ، كما أتصور ، يقوم بالدور الرئيسي في هذه القضية ؟ . . .

ران صمت ثقيل على الجميع وهم يتابعون كلام جميل الذي نظر الى الساعة في معصمه وهو يردف قائلاً بعد انصراف خالد وليلى :

ـ قصدت أن ينصرف الأولاد قبلنا ، ! يكاد الفضول يذهب بعقول هؤلاء الأذكياء . . . كما أنني لا أريد توريطهم في هذه القضية . . . فالخطر كبير عليهم خاصة اذا كان ستافرو هو ضالتنا ، فإنه لن يستسلم بسهولة . . .

لم ينتظر سليمان ، فطرح سؤاله بلهفة :

ـ وما هي خطوتنا التالية ؟ . . .

وببساطة أجابه جميل الواثق من تصرفه :

ـ سنعود للمراقبة من السطح . . . هيا بنا . . .

غادر ثلاثتهم الشاطىء لينصرفوا الى مهمتهم ، فالساعات الحاسمة تزحف ببطء ، أشعرهم بثقل وطأتها لحظات الانتظار المملة . . .

ثرثرة فصيح

سبق أفراد الفرقة الجميع إلى البيت ، وانضم إليهم خالد وليلى ، فقد كـان هو الآخـر يرسم خـطة خاصـة لمساعـدة رجال الأمن في مكـافحة الجريمة ، والاسهـام في القبض على المجرمين ، فـدعاهم إليـه جميعاً ليوزع عليهم الأوامر ، بطريقته الخاصة ، تحلقوا حوله ، فقال بحذر :

ـ اصعدوا إلى السطح ، الواحد تلو الآخر . . . لا تدعـوا ماما تنتبه لذلك ؟ .

وفوق وقفوا جميعاً بجانب السور ينتظرون وصول خالد ، وهم يراقبون البحر ، وما ان وصل خالد حتى بادرهم بالقول :

ـ لا وقت لـدينا نضيعـه ، . . . فقـد يصـل أبي وزواره بين لحـظة وأخرى . . . تعالوا نتدارس الخطة الواجب تنفيذها . . .

كانوا جميعاً يحيطـون بخالد ، حتى فصيحاً لازم كتف ليلى ، مكانه المفضل ، وقبع سرور على حافـة سور السـطح ، فيما رقـد فينو بجـوار عصام ، على الأرض ، وكلهم منصت لكلام خالد ، انتهى شرح الخطة ، فقال خالد :

ـ أما الآن ، لننزل جميعاً حتى لا نتأخر عن استقبال الضيوف وإلا أثرنا انتباههم ، . . . وفي منتصف الليل تماماً كونوا جاهزين لبدء التنفيذ . . .

وكما صعدوا الى السطح ، غادروه الواحد تلو الآخر ، ليفاجأوا بوجود المفتش وزواره يشـربـون القهـوة على شـرفـة المنـزل المـطلة على

البحر ، . . . فنهض المفتش جميل لاستقبالهم وهو يقول :

ـ أرى ان اجتماعكم انتهى سريعاً ؟ . . .

تلجلج خالد وهو يهم بالجواب :

ـ إجـ . . إجتماع ؟؟ . . .

ضحك والده ، وتابع حديثه مشجعـاً خالـداً على الاجابـة ، دون أن يكترث لاستنكار خالد ، فقال له :

ـ الاجتماع بحد ذاته ليس مهماً ، إنما المهم هو القرار الذي انتهيتم اليه . . . .

وكعادته ، لا يحتمل فصيح إخفاء الأسرار عن المفتش ، فصاح فجأة ، وعلى طريقته :

ـ الخطة . . . منتصف الليل تماماً . . . الخطة . . . . الليل . . .

نظر إليه خالد في محاولة لزجره ، ولكن ما فات قد فات ، وأسقط بيده ، فنظر إلى والده الذي تجهم وجهه فجأة ، وصاح بغضب مؤنباً خالداً على عدم صراحته ، قائلاً :

ـ خالد . . أي خطة ؟ . . . تكلم فيما عودتني غير الصدق . . .

أطرق خالد برأسه ، وقال وهو ينظر الى موقع قـدميه خجـلاً من سوء تصرفه حيال والده ، ولأنه حاول أن يخفي عنه الحقيقة :

ـ كنا قد أعددنا خطة لتسجيل كل ما يدور عند الحفرة . . .

تقدم المفتش سليمان نحوهم ، في محاولة لتهدئة سورة الغضب عند زميله ، ولكنه فوجيء بكلام خالد ، فقال والدهشة بادية على محياه :

ـ تسجلون ماذا ؟؟ . . .

وانتقل ببصره إلى المفتش جميل ، ولا زالت كلماته تنقل حيرته وتساؤله

فقال :
- هل لديكم جهاز تصوير سينمائي أو «ڤيديو» ؟ . . .
ضحك المفتش جميل ، مما شجع خالداً على البوح بأسرار الخطة ، فقال :
- بالطبع لا ، يا حضرة العقيد . . . كل ما هنالك أننا ننوي وضع جهاز لاقط للأصوات ، قرب الحفرة ، فينبهنا الى ما يدور حولها . . .
عاد التجهم الى وجه المفتش ، وعادت إليه صفته العسكرية ، الصارمة ، وسأل خالداً ، كأنما يسأل أحد مرؤوسيه ، ليطمئن على سلامة الخطة :
- وما جدوى ذلك ؟ . . . على افتراض أنه تم لكم كل شيء وتحققتم من وجود أشخاص قرب الحفرة . ما هو موقفكم ؟ . . أعني ما هي الخطوة التالية ؟ . . .
أجابه خالد بحماس :
- سنذهب للقبض عليه . . . أو . . .
قاطعه المفتش بحزم ، وقال بلهجة عنيفة محذراً :
- ستذهبون الى الحفرة . . . أليس كذلك ؟ . . . اسمعوا ما أقوله جيداً . . . انسوا كل ما يتعلق بهذا الأمر . . لا شأن لكم بالحفرة وما بداخلها . . . ولا تحاولوا التدخل في هذا الأمر من بعيد أو قريب . . . كلامي واضح . . . أليس كذلك ؟؟؟ . . .
أسقط بيد أفراد الفرقة ، وظهرت خيبة الأمل على وجوههم جميعاً ، وساد صمت ثقيل قطعه خالد قائلاً :
- أمرك يا أبي . . . لن نتدخل في أي شيء . . .

هدأت سورة الغضب التي انتابت المفتش جميل وهو يسمع كلمات خالد ، ووعده ، فهو يعلم أنه صادق في كل ما يقول . . .
فأخذ يشرح الموقف للجميع وهو يظهر مخاوفه التي حبسها عنهم طويلاً ، فقال :
- حسب اعتقادي ، نحن حيال مجرم خطير ، من أعتى المجرمين الدوليين ، ولا أظنه يقف متفرجاً عندما يعلم باكتشافكم مكان المخدرات المهربة . . . ألم أعدكم بأن أطلعكم على جميع ما نتوصل إليه ؟ . . .
تولت ليلى ، بنعومة الأنثى وخفرها ، تقديم الاعتذار للمفتش ، فقالت :
- نحن متأسفون يا عمي .
زال الغضب المسيطر على المفتش وابتسم زارعاً الأمل في نفوسهم ، فعرفوا أنه صفح عن تصرفهم لأنهم عرفوا خطأهم ، فقال لهم :
- حسناً . . . لننس الأمر إذن . . .
والتفت إلى المفتش سليمان وقال :
- سأصعد أنا إلى السطح للمراقبة وتنتظران كلاكما وصول المكلف بإحضار البديل عن المخدرات . . . ومتى وصل تذهبان الى الحفرة لاستبدال الحقيقية بالمزيفة ، وتتبعاني بعدها الى السطح . . .
وقبل أن يسمع الرد ، توجه نحو الدرج يرتقيه بسرعة ، وما كاد يبتعد حتى انقض خالد على فصيح بغتة وضغط بيديه على جسم الطائر النحيل ، فصرخ فصيح مستغيثاً :
- انقذوني . . . انقذوني . . .
اشتد الضغط عليه ، ولم يستطع الإفلات من يدي خالد القويتين ،
- ثرثار . . . واشي . . . لن يغادر قفصه بعد الآن . . .

وخالد يقول :

لن ينقذك أحد من بين يدي أيها الثرثار . . .

وفي محاولة لاسترضاء خالد والتخلص من قبضته القوية ، صاح فصيح :

ـ فصيح ثرثار . . . فصيح ثرثار . . .

بدأت علامات الفرح ترتسم على وجه خالد ، فقال وهو يغالب ابتسامة حاولت الظهور على شفتيه :

ـ نعم . . . فصيح ثرثار واشي ، ولا يؤتمن على سر . . .

كان فصيح في حالة يرثى لها من الذعر والهلع وقبضتا خالد تضغطانه ، وغير بعيد عنه قبع سرور يراقب ما يجري باسماً ، يعبر عن فرحه ، لما يناله فصيح ، بحركات من يديه ، وقفزات في مكانه مصحوبة بصفيرة المعهود .

جذبت حركاته نظر فصيح الذي أحس بوجوده ، فصاح يستنجد به قائلاً :

ـ فصيح ثرثار . . . سرور حبيبي . . . سرور حبيبي . . .

لم يأبه سرور لكلام فصيح ، فلم يحرك ساكناً باتجاه فصيح ، بل على العكس ازداد سروره لهذا المنظر . . . فيما أشفقت ليلى على فصيح ، وكانت تراقب ما يجري وهي تضحك من أعماق فؤادها ، وأخيراً لم يسعها إلّا أن تتواسط لدى خالد ، فقالت له :

ـ لم يكن فصيح يقصد إفشاء السر . . . إنها زلة لسان يا خالد . . .

وافق فصيح على كلام ليلى فصاح من أعماقه هو الآخر قائلاً :

ـ ليلى حبيبتي . . . فصيح حمار . . . فصيح حمار .

رغم كل محاولات فصيح للإفلات ، لم يعف عنه خالد ولم يطلق سراحه ، بل استمر في الضغط عليه وهو يقول :

ـ حتى يتعلم أن لا يكون ثرثاراً . . .

رأى فصيح أن لا غنى عن طلب النجدة من الجميع ، فقد اضطر تحت ضغط خالد المتزايد أن يرفع عقيرته بالصراخ قائلاً :

ـ يا سعاد . . . يا جميل . . . أدركوني . . . أنقذوني . . أنا فصيح . . . أدركوني . . . هرعت السيدة سعاد ملبية نداء استغاثة فصيح ، وما أن دخلت حتى فوجئت بما رأت ، فسألت خالداً من فورها :

ـ ماذا فعلت به حتى استغاث بنا جميعاً ؟؟ . . ماذا دهاك يا فصيح ؟؟ .

لم يجد خالد ضرورة بالاستمرار في هذه اللعبة ، فأرخى قبضتيه عن فصيح ، الذي سرعان ما طار من بين يديه ليستقر مطمئناً على كتف السيدة سعاد هذه المرة ، ولكنه لم ينس الانتقام من سرور لعدم تلبيته نداءه ، فقال فجأة :

أنتِ حبيبتي . . سرور حمار . . . سرور ثرثار . . . سرور واشي . . .

اتسعت حدقتا السيدة من شدة دهشتها لما تمسح وقالت :

ـ حمار وعرفناها . . . ولكن من أين أتى بثرثار وواشي ؟ . .

تولى خالد شرح الموقف ، فقال لأمه :

ـ تصوري . . . أنه وشى بنا عند بابا . . .

غضبت الأم من عمل فصيح ، وقالت مستغربة :

ـ وشى بكم ؟ . . . وهل يعقل هذا ؟ . . . فصيح يفعل فعلاً شنيعاً كهذا ؟ . . .

أجابها عصام مؤكداً كلام خالد :

ـ نعم ، وشى بنا . . . أقسم لك . . .

ونظر خالد إلى فصيح الذي أخذ يراقبه بحذر ، ومن جانب واحد من وجهه ، وعاد ليؤنب الواشي وهو يقول :

تململ فصيح من هذا القرار المفاجىء لأنه يعلم أن خالداً ينفذ وعيده ، وحاول أن يستدر شفقة الأم فناداها باسمها وهو يقول :

ـ سعاد . . . حبيبتي سعاد . . .

ابتسمت لحسن تصرفه ، وحدة ذكائه ، وقالت مدافعة عنه :

ـ إنها المرة الأخيرة التي ينقل فيها حديثاً سمعه . . . أليس كذلك يا فصيح ؟؟ . . توبة ؟ . . هه ؟ سامحه يا خالد لم يكن يعمل أن الوشاية عمل مذموم ، وهي من الصفات القبيحة . . . أليس كذلك يا فصيح ؟؟ لا تفعلها مرة أخرى ؟؟

ووافق فصيح على الفوره وقال :

ـ توبة . . . توبة . . . فصيح حمار . . . فصيح غبي . . فصيح ثرثار . . .

قال فصيح هذا والجميع مستغرقون في ضحك متواصل ، حتى أن خالداً لم يتمالك نفسه من القهقهة بصوت مسموع ، ولكن الأم أرادت معرفة القصة من أولها ، لأنها تجهل سبب هذا الموقف تماماً ، فسألت خالداً :

ـ ولكن بماذا وشى بكم عند والدك ؟؟ . .

يتمتع خالد ، كباقي أفراد الفرقة بمزايا الصدق والصراحة والجرأة في قول الحق وإبداء الرأي ، لأنهم تعودوا ذلك منذ الصغر لأنهم كانوا يلقون التشجيع على ذلك من الجميع ، فما كان من خالد ، والحالة هذه ، إلّا أن قص على والدته القصة كاملة . . . وبعفوية الأم الفخورة بأبنائها ومكافأة له على صراحته وصدقه ، ربتت بيدها على كتفه برفق وحنان ، فيما كانت يدها الأخرى تمسح ريش فصيح وهي تقول :

ـ ما دام الأمر كذلك ، فإن فصيحاً يستحق مني قالباً كاملاً من الشوكولاته ، له وحده . . . فقد فعل خيراً لكم جميعاً . . .

الضيف المنتظر

على السطح ، كان المفتش يتابع مراقبة الصياد بمنظاره المكبر ، وكان نور المصباح المنعكس عليه يسهل المهمة ، وفجأة . . . تقلصت يداه على المنظار وحبس أنفاسه ، وهو يلمح بروز رأس كلب ضخم من الماء ، فتابعه المفتش باهتمام حتى وصل شاطىء الجزيرة عندها خرج ينفض فروته من الماء العالق بها . . . انتظر الصياد برهة ثم غادر مكانه في النور ، واختفى مع الكلب في الجانب المظلم من الجزيرة . . . وضع المفتش منظاره على السور حيث كان يراقب ، وانطلق بكل قوة يعدو هابطاً الدرج باتجاه الحديقة ، وكاد يصطدم بزميليه الصاعدين الى السطح بعد أن بدلوا المخدرات . . . ولكنه لم يتوقف ، بل خاطبهما وهو يعدو قائلاً :

ـ واصلا السير . . . سألحق بكما فيما بعد . . .

وتابع الركض باتجاه الحفرة ، والمسدس في يده جاهز للتصدي لأي خطر . . . وما أن وصل حتى تسلق بمهارة شجرة التوت التي تعلو الحفرة ، واختار فوق أحد أغصانها مركزاً له يطل منه على الثغرة والحفرة معاً . . .

كان يحمل باليد اليسرى مصباحاً ساطع النور غير مضاء ، وساد صمت ثقيل . . . ومرت الدقائق مملة طويلة . . . تجمعت منها نصف ساعة تقريباً ، كاد المفتش يترك مكانه خلالها . . . فقد بدأ اليأس يتسرب الى نفسه ، وفكر جدياً بمغادرة المكان والتوجه الى المنزل ليلغي كل الخطوات اللاحقة ، ويكاشف زملاءه بخطأ ظنونه . . . لكنه فجأة توقف عن التفكير

في هذا الموقف ، بعد أن لمح على ضوء مصباح الطريق الخافت رأس الكلب الضخم يتسلل من الثغرة في جدار السور ، يحمل في فمه كيساً كانت قاعدته ترتكز الى قفص صغير ربط في عنقه . . . فلما اقترب من الحفرة ترك الكيس يهوي بداخلها ، ثم تراجع من حيث دخل . . . دهش المفتش عندما رأى القفص فارغاً يتدلى من عنق الكلب ، بعد أن أفرغ محتوياته في الحفرة ، وغاب الكلب في الظلام ، عائداً من حيث أتى لا يلوي على شيء . . .

انتظر المفتش بعض الوقت ، ثم هبط بحذر وسرعة وانحنى على الحفرة ، وأخرج الكيس الذي أحضره الكلب حديثاً ، فقد ميزه بسهولة ، وحمله معه الى رفاقه ، وانطلق ، كما حضر ، يعدو باتجاه المنزل . . . وتوجه تواً الى السطح فيما كان سليمان وماهر يراقبان الصياد بمنظاريهما . . . تنبه سليمان لوصول المفتش فقال :

ـ إن هذا الصياد محظوظ ولا شك . . . إنه يلتقط الأسماك ، الواحدة تلو الأخرى ، بفارق دقيقة واحدة أو أقل . . .

ولم يترك له المفتش جميل الفرصة للاسترسال بسرد ملاحظته ، فقد ألقى بما يحمله بين أقدامهما ، على الأرض ، قائلاً :

ـ وهذا الصيد ؟؟ أليس أهم من الأسماك التي تتحدث عنها ؟؟؟

أحدث وقع الكيس صوتاً خاصاً وهو يرتطم بالأرض ، فنظر إليه كل من العقيد سليمان والنقيب ماهر ، وقد اعتراهما الذهول ، وتمالك سليمان نفسه بعد برهة ليقول :

ـ أهي مخدرات حقيقية ، أم تلك التي وضعناها قبل قليل ؟؟

لم يكن لدى المفتش الوقت الكافي للرد ، فأمسك بذراع العقيد سليمان

وطلب منه النزول الى القاعة قائلاً :

ـ اسرع يا سليمان . . . إتصل بخفر السواحل وكلفهم القبض على الصياد ، وتفتيش الجزيرة بعناية . . . أما نحن فسنجلس بانتظار الرسول الذي قد يحضر مرة ثانية بصيد ثمين . . .

وهرولوا جميعاً نحو المنزل ، وقام سليمان باخطار خفر السواحل بالأمر وأصدر تعليماته بمهاجمة الصياد بعد أن اعطى أوصافه وحدد مكانه ، وكذلك تنفيذ كل ما طلبه منه المفتش جميل . . . جلسا بهدوء ينظران الى العقيد سليمان يعطي الأوامر ، فيما تنهد المفتش جميل بارتياح تام ، وقال :

ـ أما نحن ، فلا اعتقد أننا بحاجة لمساعدة . . . نحن ثلاثة وكلنا مسلحون والخصم كلب لا يملك إلّا أنيابه . . .

تأمله ماهر بذهول ، بينما تطلع إليه سليمان بدهشة ، وكأنه ينظر الى مجنون فقد عقله ، ولم يفطن الجميع الى وجود سرور الذي اختبأ خلف المقعد حيث يجلسون . . . لم يصدق سليمان الرواية ، فانطلقت من فمه عبارة استنكار وهو يقول بازدراء :

ـ كلب ؟؟

أجابهما على الفور :

ـ نعم كلب . . . سأشرح لكما كل شيء لاحقاً . . . المهم الآن أن نكون في انتظاره عند وصوله ثانية . . . كم أتمنى الحصول عليه حياً يا سليمان . . . سيكون خير رفيق لفينو . . .

وأطرق الجميع برهة ، وساد صمت قطعه المفتش قائلاً على طريقة أرخميدس :

ـ وجدتها . . . وجدتها . . . انتظراني لحظة . . .

واتجه مسرعاً الى باب إحدى الغرف ، فتحه ودخل على أطراف أصابعه حتى وصل الى فراش معين ، وهز النائم ، فجلس من فوره ، فقال له المفتش محذراً ، وهو يضع سبابة يده اليمنى على فمه :

ـ هسّ . . . اتبعني يا خالد بعد أن توقظ الجميع دون جلبة . . . فأمك نائمة . . .

لم يكونوا بحاجة لمن يناديهم ليستيقظوا . . . فقد هبوا جميعاً جلوساً في أسرّتهم ، والابتسامة ترتسم على شفاههم . . . أثار هذا المنظر دهشة المفتش فقال :

ـ كنتم تتظاهرون بالنوم إذن ؟ . . . لا بأس . . . هيا اتبعوني ، فعليكم تنفيذ مهمة سأكلفكم بها . . .

سبقهم المفتش الى الشرفة ، وانضم اليه زميله ، فيما تحلق الجميع حول خالد يتهامسون بأمر لم يفصحوا عنه ، وبعد قليل كانوا يحيطون بالرجال الثلاثة ، فقال عصام :

ـ جاهزون يا عمي . . . ماذا تريد ؟؟

التفت المفتش وقال لهم :

ـ نريد القبض على الكلب حياً . . .

ابتسم خالد ونظر ناحية وليد الذي أسرع يقول :

ـ إنه أمرٌ هيِّن يا عمي .

تملكت الدهشة العقيد سليمان ، فهتف متعجباً :

ـ أمر هين ؟ إنه وحش ضخم ، وليس كلباً عادياً . . .

تولى خالد الإجابة ، فهو يعرف تفاصيل الخطة أكثر من غيره ، فقال :

ـ نعلم ذلك . . . وأعددنا له ما يلزم . . .

بهت الرجال الثلاثة من الهدوء المسيطر على هؤلاء الفتيان ، فما كان من المفتش جميل إلاّ أن بادرهم بسؤال :

ـ أعددتم ! لماذا ؟ . . .

وبصراحة متناهية وببساطة ، أجابه عصام :

ـ أعددنا للقبض على الكلب حياً . . .

امتقع وجه المفتش ، ودون وعي هتف بهم قائلاً :

ـ يا إلهي . . . تقول أعددتم للقبض على الكلب حياً ؟ . . وكيف عرفتم أنني سأكلفكم بهذه المهمة ؟ . . .

ضحك خالد وقال ببراءة وشجاعة :

ـ لا تغضب منا يا أبي . . . لقد سمعنا ما قلته لعمي العقيد سليمان عن توقعك أن يكون الكلب هو الذي يحضر الى الحفرة حاملاً المخدرات ، فأعددنا العدة لاصطياده .

نظر اليهم العقيد سليمان بذهول وحيرة من أمرهم ، وقال :

ـ سمعتم ؟ . . . وكيف سمعتم حديثنا ونحن وحدنا لم يسمع حديثنا الهامس أحد ؟؟ . . حتى أنني أشك أن يكون النقيب ماهر سمع حديثنا . . .

ضحك خالد مجدداً ، وقال :

ـ لم نقصد ذلك ، فليس من عادتنا إصاخة السمع الى ما يقوله الآخرون ، وكل ما في الأمر أن سروراً أراد إرضاءنا بعد أن فضح فصيح نوايانا ، ودون علم منا ، قام بدور الجاسوس لحسابنا نحن ، فحمل آلة التسجيل والتقط حديثكم الهامس ، دون أن تفطنوا لوجوده معكم . . .

كاد العقيد سليمان يجن مما يدور حوله ، فنظر بدهشة الى زميله المفتش

جميل الذي قال :
ـ من أي طينة جبل هؤلاء الشياطين ؟ . . . لا بأس . . . لا وقت للحديث عن هذا الآن .
وتذكر المفتش أنه أوصاهم بالحذر ، وكعادته ، أراد استيضاح الأمر ومعرفة الخطة كي يتلافى أيّة ثغرة تعرضهم لمكروه ، فقال :
ـ حسناً . . . خالد . . . إشرح لنا الخطة التي وضعتموها للقبض على الكلب حياً ؟ . . قد يكون فيها خطر عليكم . . .
وقبل أن يتفوه خالد بالجواب ، أسرعت ليلى بالقول :
ـ اطمئن يا عمي . . . لا خطر يتهددنا البتة . . .
التفت المفتش ناحية الصوت المنبعث رناناً في هدأة الليل ، وقال :
ـ ليلى . . . ما الذي أيقظك في هذه الساعة المتأخرة ؟ . . .
أجابه خالد :
ـ لم تكن ليلى نائمة يا أبي . . .
تذكر المفتش تحذيره المسائي السابق لهم ، وهز رأسه متوعداً وهو يقول :
ـ لا بأس من ذلك الآن . . . هكذا إذن . . . دعونا نسمع من الآنسة كيف تجزم بعدم وجود خطر يتهددكم ؟؟ . . .
احتفظت ليلى بهدوئها ، والتفتت الى عصام ، تريد أن تكون إجابتها عملية ، وقالت :
ـ عصام . . . أحضر الخرطوم وأنبوبة الغاز ، لو سمحت . . .
كان وليد أسرع من عصام ، فسرعان ما غاب وعاد يحمل خرطوما رفيعاً ، وبيده الأخرى ما يشبه «دش» الحمام . . . وتبعه عصام حاملاً معه

انبوبة الغاز الموصولة بالخرطوم واخرجت ليلى من جيبها سيوراً جلدية خفيفة المحمل ، متينة ، وقالت :
ـ ها هي معداتنا . . .
نظر اليها العقيد سليمان بدهشة ، ثم انتقل ببصره الى المفتش ليسأله :
ـ ما هذا ؟ . . . ماذا يجري عندكم ؟ . . . أنا لا أفهم شيئاً يا جميل . . .
قلب المفتش راحتيه ، وزم شفتيه وهو يقول :
ـ صرنا اثنين . . . فأنا مثلك لا أفهم شيئاً . . . ولكن دعنا نسمع منهم تفاصيل خطتهم . . .
أرادت ليلى إدخال الاطمئنان على قلوب المفتش ومرافقيه ، وإشاعة جواً من الثقة المتبادلة بينهم ، فقالت :
ـ ألا يكفي أن نكون نحن في أمانٍ تام ، وأن ننفذ المطلوب منا على الوجه الأكمل ؟؟ . .
قال المفتش جميل :
ـ هذا ما نريد . . . ومع ذلك نحب أن نطلع الى الخطة . . .
أخذ خالد توضيح الخطة على عاتقه ، فقال :
ـ سيكون هناك «دش» كهذا ، بينما يمتد الخرطوم الى حيث نجلس ومتى وصلتنا الاشارة تخطرنا بوصول «الضيف المنتظر» نطلق الغاز . . وهكذا ، وبلحظة ينتهي كل شيء . . . أليس هذا رائعاً ؟ . . .
أراد المفتش الاطمئنان أكثر ، فهو يريد أن يدرسوا الخطة من جميع جوانبها ، وبأدق تفاصيلها ، لهذا سألهم :
ـ وكيف تصل إليكم الاشارة ؟ . . .
ضحك خالد بزهو ، وقال :

ـ اطمئن يا أبي . . . فقد رسمنا لكل واحد دوره ، . . . أما عن الاشارة فسوف تصل الينا عن طريق سرور الذي يربض الآن ، بين أغصان الشجرة فوق الحفرة ، حيث كنت منذ لحظة يا أبي . . .

نظر المفتش الى ولده باستغراب واستنكار ، وقال :

ـ يربض هناك ؟ . . . ولكنني لم أكلفكم بالمهمة إلاّ منذ لحظات . . .

ابتسم خالد وهو يقول لوالده بصراحة تامة :

ـ كنا قد أعددنا لاقتناص الكلب من قبل . . . حال معرفتنا بوجوده وبدوره ، . . الذي يقوم به . . .

هز المفتش رأسه ، وكأنه لم يقتنع بما يسمع . . . وعاد يسأل :

ـ وكيف يعطيكم سرور الإشارة ؟؟ . . هل يصرخ ليفضح وجوده ؟ . . .

رفع وليد يده وقال : وهو يظهر خيطاً ربط إلى اصبعه :

ـ عن طريق هذا الخيط . . . عندما يجذبه من هناك ، أطلق أنا الغاز من هنا . . .

سكت وليد ، ليقول وسط دهشة المفتشين وذهولهم :

ـ لقد وصل . . .

وما لبث أن استجاب للإشارة ، ففتح صنبور الغاز ، وقال لهم :

ـ هيا بنا الى هناك . . .

بدا القلق على المفتش وهو يسأل :

ـ ماذا ؟ . . . ألا تنتظرون بعض الوقت ؟ . . .

لم يبق أحد أمامه لكي يتولى رد الجواب ، فقد قفزوا كالمجانين ، مسرعين الى الحديقة . . . فقال المفتش لرفيقيه :

ـ فلنلحق بهؤلاء المجانين . . .

هرول الثلاثة خلف أفراد الفرقة مسرعين ، يشهرون مسدساتهم في أيديهم ، حتى وصلوا قرب الحفرة . . . عقدت الدهشة ألسنتهم ، وتسمروا في أماكنهم أمام هذا المشهد الغريب . . . كان أفراد الفرقة يحيطون بالكلب الضخم ، يقيدونه بسرعة مذهلة ، بينما تولت ليلى تكميمه . . . وما أن رآهم خالد حتى صاح فرحاً :

ـ ها هو الكلب . . . سليماً من كل أذى كما ترون . .

اقترب المفتش من الحفرة ، وامتدت يده تتناول الكيس الجديد الذي أحضره الكلب معه . . . وقال مشيراً الى الكلب :

ـ أما هذا . . . فسيكون لكم . . .

هلل الجميع فرحاً لما سمعوه ، ما عدا خالد الذي لم يشاركهم حبورهم ، والتفت المفتش جميل الى زميله العقيد سليمان الذي بدت عليه علامات الذهول والحيرة ، وقال مزهواً بأفراد الفرقة الأذكياء :

ـ تبدو عليك الدهشة ؟ . . . ألم أقل لك إنهم شياطين ؟؟ . . . .

ردد العقيد سليمان قول زميله بطريقته الخاصة ، معبراً عن مدى دهشته واستغرابه فقال :

ـ شياطين ؟ . . . لا يا جميل ، لا تبخسهم حقهم ؟ . . . فأنا أرى أن الشياطين هي التي تشبههم ؟؟؟

وساد جو من الحبور والغبطة ، احتفالاً بنجاحهم في القبض على أحد المجرمين العتاة ، ولحصولهم على كلب جيد لا نظير له عندهم .

وتوجه الجميع نحو الشاطىء ، بعدما سمعوا أصوات صفارات زوارق خفر السواحل تجلجل في عرض البحر . . .

نهاية مجرم

استطاع أفراد الفرقة ، دون إطلاق رصاصة واحدة من قبل المفتشين الثلاثة ، القبض على أداة المجرمين في نقل مهرباتهم ، بينما كانت زوارق خفر السواحل الساهرة على الامن البحري تطبق على الجزيرة من كل جانب ، فيقبض أفرادها على الصياد ـ المهرب ، وانتشروا على كل بقعة من الجزيرة يفتشون عن بقية المخدرات ، والرجال . . وبعد الانتهاء ، حمل خفر السواحل الأشاوس ، جميع أفراد العصابة الى الشاطىء ، وهناك وقف بانتظارهم الضباط الثلاثة . . . وكان سليمان أشدهم لهفة لمعرفة المهرب الداهية ، ورغم الجراحة الناجحة التي غيرت الكثير من ملامح وجهه ، فقد تعرف المفتش جميل على غريمه . . . إنه ستافرو بندليس ، كما توقع . . .

وقف الضباط وقفة عز وفخار تنم عن مشاعر الفرح بنصرهم هذا ، وتبادلوا النظرات مع ذلك الداهية الماكر ، وكان أول المتكلمين في هذه اللحظة ، المفتش جميل ، الذي خاطب ستافرو قائلاً بسخرية :

ـ ستافرو . . . مرحباً بك . . . لماذا لم ترسل بطاقة تُخطرنا فيها بحضورك ، كنا قدمنا لك ما يليق بك ، وكنا جهزنا الزينة اللازمة ، واستقبلناك بما أنت أهل له . . .

في الجانب الآخر ، كان العقيد سليمان يرمي غريمه بنظرات نارية

غاضبة ، ويخاطبه بعبارات تنضح بالهزء والسخرية والتشفّي ، قائلاً :

ـ أيها التعس . . . حظك عاثر أن وقعت بأيدينا . . . كان يجب ان تفكر ملياً قبل الإقدام على عمليتك هذه في رحابنا . . . ستافرو . . . ألم تتعلم من السابقة ؟ ألم تعرف أن نابنا أزرق ومخالبنا قوية فلا مهرب لك ولأمثالك منها ؟؟ . . .

أجابه « ستافرو » بصفاقة : وهل تتوقع غير ذلك من مجرم خطير محترف . . . وتابع :

ـ سنرى صدق ظنك يا حضرة المفتش . . . أعاهدك أننا سنلتقي هنا ، فليس هذا اللقاء هو الأخير . . . بل سيتلوه لقاءات أشد حرارة . . .

هزأ المفتش من هذه الكلمات الوقحة ، وقال :

ـ حقاً سيكون بيننا لقاءات ؟؟ . .

وبنفس وقاحته أجاب :

ـ نعم يا سيادة المفتش . . . وستدفعون يومها ثمن هذا الغرور غالياً . . .

لم يتحمل النقيب ماهر هذه الصفاقة وهذه الوقاحة التي يمارسها هذا المهرب الوغد ، فتقدم منه يريد أن يلقنه درساً . . . ولكنه توقف مكانه إطاعة لإشارة من يد رئيسه ، المفتش جميل ، الذي تقدم من ستافرو لكي يقول له :

ـ لا لقاء بيننا بعد الآن إلّا في قاعة المحكمة التي ستخرج منها ، هذه المرة ، الى سجوننا . . . وهنا لا رشوة ، ولا أمل لك في الهرب كما فعلت في بلادك ؟ . . .

وقبل أن يتابع كلامه التفت الى العقيد سليمان وقال :

ـ خذ أسيرك يا سليمان . . . فلا رغبة عندي لإطالة النظر الى وجهه الكريه . . . أو لسماع إجاباته الناضحة بالوقاحة والغرور . . .

وزع العقيد سليمان أوامره على رجاله الذين أحاطوا بأفراد العصابة ، واقتادوهم الى المخفر ، بينما انضم العقيد الى المفتش جميل والنقيب ماهر ، وجميع أفراد الفرقة وتوجهوا الى المنزل . . . . وما أن استقروا في مقاعدهم حتى ظهرت السيدة أمامهم ، وهي بكامل لباسها ، فأثار منظرها دهشة زوجها الذي بادرها بالسؤال :

ـ سعاد ؟ . . .

تقدمت منهم لتقول :

ـ نعم سعاد . . . هل تظن يا زوجي العزيز ، أنني أقل شأناً من هؤلاء الشياطين ؟ . . .

التفت المفتش جميل ناحية أفراد الفرقة ، وقال لهم :

ـ أولاً : أهنئكم على براعتكم وعلى اتقانكم عملكم . . . وبهذا نلتم مكافأتكم عليه : هذا الكلب النادر . . . فهو لكم . . . وثانياً : يجب أن تنالوا عقابكم على عصيان أوامري . . .

لم يدع العقيد سليمان المفتش يكمل كلامه ، فقاطعه ليقول :

ـ هذه المرة ستعفو عنهم إكراماً لي . . . فالخدمة قدموها لي أنا . . . فمن جهتي سأطلب لهم مكافأة سخية من السلطات المختصة . . .

وقف خالد ، وأجاب العقيد سليمان بإباء :

ـ إن ما قمنا به نابع من ضميرنا الوطني ، وإحساسنا بالواجب نحو هذا الوطن الذي يستظلنا ويحمينا ويؤمن لنا الكرامة والعيش الهانىء ، ونحن لسنا من «صائدي المكافآت» ولا ممن يطمعون بها . . . . ولكننا سنتجاوز

هذه القاعدة في هذه المرة . . .

بهت الأب لكلام خالد ، ونظر إليه باستغراب وهو يقول :

ـ ماذا ؟ تريدون الحصول على المكافأة ؟ . . .

ابتسم عصام ، وبجرأة صارح المفتش بما يريدون ، فقال :

ـ عذراً يا عمي عودتنا الصراحة والتروي فلا تتسرع وتظلمنا فأنت تنظر إلينا نظرات توبيخ قاسية ، . . . إنك لم تعلم نوع المكافأة المطلوبة . . .

كان كلام عصام مقنعاً ، أسكت المفتش ، مما أتاح الفرصة أمام خالد لمتابعة كلامه مع العقيد سليمان ، فقال :

ـ إذا كان لا بد من مكافأة فإننا نرجوك أن تترك لنا حرية اختيار ما نريد . . .

عادت الدهشة لتحتل مكانها في عيني المفتش ، فيما كان العقيد سليمان يقول بحماس :

ـ سل ما تشاء . . . وسأنفذه على الفور ؟

ضحك خالد بخبث ، وقال :

ـ المكافأة يا سيدي ، هي أن يخبرنا والدي كيف اتجه بتفكيره نحو الكلب وكيف تصور دوره في هذه القضية ؟؟.

تنهد المفتش بارتياح ، وكان كمن رميته بدلو ماء بارد . . . فانفرجت أساريره ، واعتدل في جلسته ، وقال لهم :

ـ أتذكرون القصة التي رويتها لكم عن عملية مشابهة جرت حوادثها في إيطاليا ، وكان بطلها كلب من هذا النوع ؟ . . كان هذا تصوراً ، أما ما دفعني لأكون شبه متأكد من صحة تفكيري وصواب تصوري ، هو ما كشفه خبير المعمل الجنائي . . . فقد عثر على آثار قوائم كلب بالقرب من الحفرة ، وبنتيجة تحليل هذه الآثار بواسطة قوالب الجفصين (الجبس)

تأكد من وجود آثار أصداف دقيقة وأعشاب بحرية من تلك التي تنبت على الجزيرة المرجانية . . . ومن وجود هذه الآثار تأكدت أن الكلب يذهب إلى هذه الجزيرة ، وبعملية ربط للأحداث ، جزمت بأنه يستعمل لإحضار ما يريد المهرب إيصاله إلى حيث يريد ، ودون أن يثير الشك عند الآخرين ، وهكذا يبقى المهرب بمأمن . . . هذا كل ما في الأمر . . . أليس التحليل منطقياً ؟ . . . وبالتالي أليس هذا ما أسفرت عنه هذه العملية ؟ . . . أظن الأمر واضحاً ، أم أن هناك المزيد من الأسئلة ؟؟ . . .

تهلل وجه خالد ، وكذلك وجوه باقي أفراد الفرقة وهم يسمعون التحليل المنطقي وربط الأمور بعضها ببعض ليخرج المرء بنتيجة صحيحة والصمت يخيم عليهم جميعاً ، حتى ليصح فيهم المثل « كأن على رؤوسهم الطير » ، فقطع هذا الصمت خالد الذي توجه إلى أبيه بالقول :

- شكراً يا أبي . . . وأرجو أن تصفح عن خطئنا نحوك ! . . .

غمرت الفرحة قلب الأب العطوف ، وضم خالداً إلى صدره يقبّله ، وكذلك فعل مع الجميع ، فرداً فرداً ، كانت آخر العنقود ليلى التي جلست بجانب عمها ، ولم يقطع عليهم مرحهم إلا دخول سرور مسرعاً ، وهو يشير بيديه باهتمام أثار انتباه المفتش ودهشته فسأل عصاماً :

- ماذا به ؟ . . . هل أصابه مكروه ؟ . . . كأني به يريد إبلاغكم امراً . . .

ضحكوا جميعاً ، بينما تولى عصام شرح الموقف قائلاً :

- صدقت يا عمي . . . يريد سرور إبلاغنا ان الكلب بدأ يتحرك ؟ . . .

ضحكوا جميعاً وقال العقيد سليمان :

- يا إلهي . . إن في بيتك سيركاً كاملاً يا جميل (!) . .

تمت

طبع في دار النفائس - ص.ب : ١١/٦٣٤٧ - هاتف : ٨١٠١٩٤ - بيروت

لئن كانت غاية القصة « البوليسية » جذب القارئ ، وشدّه إلى متابعة أحداثها ، وتعويده على دقة الملاحظة ، وحضور البديهة .. إن كتّابها لم يراعوا – في الغالب – العرض الفنيّ والأدبي ، ولم يهتموا بالجانب الخلقي ، ولم يهدفوا إلى بناء المواطن المثالي ؛ لذلك فإنهم إن أفادوا من جانب ، فلقد أضروا من جوانب شتى .

في قصتنا « البوليسية » هذه نعتز بالمحافظة على غاية هذا اللون من القصص ، مضافاً إليها العرض الأدبي الرائع ، والاعتزاز بالخلق الرفيع ، والاهتمام بالمبادئ التربوية القويمة التي جاءت بها ديانات السماء كلها وحَضَّت عليها .

بالفخر الكبير ، نضع قصتنا هذه بين يدي الآباء والأمهات والأولاد والبنات والأخوة والأحباب وكل الغيارى على الفن والأخلاق .. مؤمنين أن هذا سبيل من سبل خدمة الأجيال .

صدر من

« المغامرون الاذكياء »

رقم: 79-63/14



هذا العمل هو لعشاق الكوميكس و هو لغير أهداف ربحية و لتوفير المتعة الأدبية
برجاء ابتياع النسخة الأصلية المرخصة عند نزولها الأسواق لدعم استمراريتها ..

This is a fan base production not for sale or
ebay please delete the file after reading
and buy the original release when it hits
the market to support its continuity